وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر* بسكرة *

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية_قطب شتمة _

قسم العلوم الإنسانية

شعبة تاريخ



عنوان المذكرة

الثورة المهدية في السودان (1881 - 1899 م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

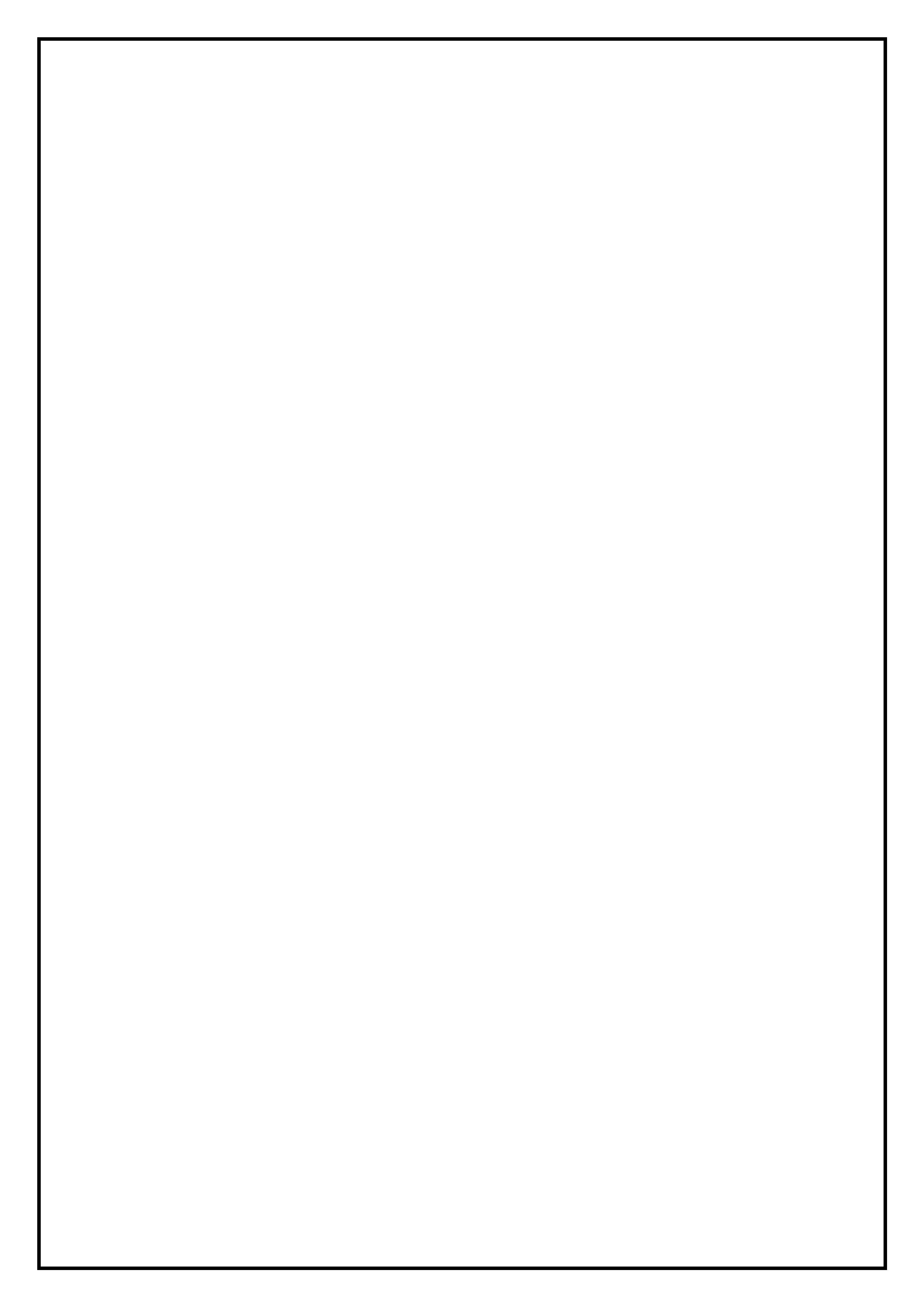
إعداد الطالب(ة):

دباخ حنان

إشراف الأستاذ(ة):

نفطي وافية

السنة الجامعية 2013/2012 م




بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله رب العالمين على كل حال.

اعترافا بالفضل لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر وجزيل العرفان إلى الأستاذة المشرفة نفطي وافية على توجيهاتها العلمية منذ بدء البحث إلى غاية هذه اللحظة، فكانت نعم الموجه.

كما يطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بعظيم شكري وامتناني للأستاذ لحواس غربي الذي حثني على اختيار مثل هذه المواضيع.

كما أشكر جميع أساتذة التخصص وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور ميسوم بلقاسم، الذي زرع فينا بذرة العمل الخالص.

دباخ حنان

الخطة

مقدمة.

المدخل: لمحة جغرافية تاريخية حول السودان.

1. معنى مصطلح السودان

2. التقسيمات الإقليمية للسودان

3. الموقع الجغرافي

4. أصل السكان

5. الحضارات التي تعاقبت على تاريخ السودان

الفصل الأول: الأوضاع العامة للسودان قبل اندلاع الثورة المهدية من 1821 إلى 1881م.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

1.أسباب حملة محمد علي باشا على السودان

2. مراحل حملة محمد علي باشا على السودان

3. ولاة السودان (حكمدار السودان) أثناء الحكم المصري العثماني

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية

1. الزراعة والصناعة

2. التجارة

3. النظام الضريبي

المبحث الثالث: الأوضاع الدينية

1.الطريقة الشاذلية والقادرية

2.الطريقة السمانية

3.الطريقة الختمية

الفصل الثالث: الثورة المهدية في مرحلتها الأولى من 1881م الى 1885م(بقيادة محمد أحمد المهدي).

المبحث الأول: أسباب الثورة المهدية

1.الدافع الديني والاجتماعي

2.الدافع السياسي

3.الدافع الاقتصادي

المبحث الثاني: حياة محمد أحمد المهدي

1. مولده ونشأته

2. حياته في التصوف

3. دعوته: أ- السرية

ب- الجهرية

المبحث الثالث: وقائع ثورة المهدي و وفاته

1. مرحلة الدفاع والتمكين

2. مرحلة الهجوم

3. وفاته

الفصل الثالث: الثورة المهدية في مرحلتها الثانية والأخيرة من 1885 الى 1899م (بقيادة عبد الله التعايشي).

المبحث الأول: حياة عبد الله التعايشي

1. مولده ونشأته

2. مكانته في الفترة الأولى من الثورة المهدية

3. توليته الحكم

المبحث الثاني: حروب الخليفة الداخلية والتوسعات في عهده وحروبه الخارجية

1. المعارضة الداخلية لحكم التعايشي(الفتن الداخلية) والتوسعات في عهده

2. الحروب الخارجية: أ- مع الحبشة

ب- مع مصر

ج- مع الايطاليين

المبحث الثالث: الغزو البريطاني المصري للسودان

1. أسباب الغزو البريطاني

2. حملات الغزو البريطاني المصري على السودان

3. اتفاقية الحكم الثنائي (بريطانيا ومصر)

الخاتمة.

الملاحق.

قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة

تعتبر إفريقيا إحدى قارات العالم، والتي شهدت أقدم الحضارات الإنسانية، فكانت المهد الأول الذي ظهر فيه الإنسان، التي لا تزال أثاره شاهدة على ذلك من بنى الإنسان سواء أفراد أو جماعا ت كانت تعيش فيها منذ عصور ما قبل التاريخ ومازالت تعيش فيها حتى الآن، ورغم ذلك فقد عانت إفريقيا مساوئ التهميش مقارنة بالقارات الأخرى، فقد كانت هدفا للاستنزاف والاستغلال لثرواتها، ولم يسلم منها حتى تاريخها وحضارتها واعتبرت أن الأفارقة لا تاريخ ولا ماضي لهم، لذا أطلق عليها الأوربيون القارة المظلمة، إلا أن هذا الاعتقا د باطل، فم ن بين أهم الحضارات التي شهدتها إفريقيا حضارة جنوب وادي النيل أو ما يعرف اليوم بالسودان الذي يخترقه وادي النيل من الجنوب إلى الشمال، تحتوي هذه المنطقة على خليط من الثقافات ومزيج من الحضارات منذ أقدم العصور، فكانت معبرا لموقعها في قلب إفريقيا من الشمال إلى الجنوب، أو من الغرب إلى الشرق للعديد من المكونات البشرية ذات الأديان والتقاليد المتداخلة، لعبت هذه المجموعات باختلافاتها العرقية والبشرية والدينية تناغما فيما بينها لتشكل لنا ما يعرف بالشعب السوداني.

وتقدم الثورة المهدية بحركيتها وخصوصيتها في تاريخ السودان المعاصر أنموذجا للبحث والدراسة وذلك لما تميزت به هذه الفترة التي اعتبرت منعرجا هاما في تاريخه، ونقصد بذلك أنها حققت اندماج وطني اجتماعي للمكونات العرقية التي انصهرت في بوتقة واحدة، وتوحدت في سبيل الجهاد والتحرر بعد أن كانت مجموعة من الممالك والسلطنات المتفرقة، والتي انتهت بتأسيس أول دولة وطنية في السودان امتدت من 1881 إلى غاية 1899م، ومن ثمة البحث في هذه المذكرة على إشكالية الثورة المهدية في السودان، خلال الفترة المعاصرة من 1881 إلى 1899م.

لقد تضافرت عدة أسباب لاختيار الموضوع من أهمها:

_ تميزت هذه الثورة بخصوصية فريدة من نوعها جعلتها في مصاف الثورات الكبرى بإطارها ونسقها الديني الاجتماعي.

_ أن هذا الموضوع يعتبر حلقة من حلقات البحث في سلسلة التاريخ المعاصر.

_ كما أن البحث في مثل هذه المواضيع ليس بالأمر اليسير، تفرض على الباحث الحرص والفطنة والجهد العلمي المضاعف وهذا ما قصدناه لنفرض على أنفسنا جهدا مضاعفا.

– قلة الدراسات العلمية المتخصصة التي تناولت هذا الموضوع.

_ وأيضا الرغبة في تنوع المواضيع، هذا ما حفزني إلى الرغبة في خوض غمار هذا الموضوع.

أما فيما يتعلق بالأهداف المرجوة من خلال هذه الدراسة نذكر:

– الرد على من قال ليس لإفريقيا تاريخ.

– كشف الحقائق التاريخية حول الثورة المهدية، وصولا إلى تقييمها، إضافة إلى اكتساب المزيد من المعلومات حول هذا البلد العريق، وأملي أن تساهم هذه الدراسة في إضافات علمية جديدة لتاريخ المعاصر وحضارة إفريقيا جنوب الصحراء.

ولهذه الأسباب والأهداف وغيرها وقع اختياري على بحث موضوع الثورة المهدية في السودان (1881– 1899م).

وتمثلت إشكالية الموضوع فيما يلي:

كيف انتقلت الثورة المهدية من حركة دينية صوفية بحتة، إلى ثورة وطنية واقعية ضد الحكم المصر ي والغزو الانجليزي؟

ولتوضيح هذه الإشكالية أكثر يمكن طرح التساؤلات الآتية:

_ ماهي الظروف التي أدت إلى بروز حركة محمد أحمد المهدي؟

_ بماذا تميزت كل مرحلة من المراحل التي مرت بها؟

_ إلى أي مدى كان تأثيرها على السودان؟

ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا على هذا الموضوع مع محاولة تقديمه بطريقة علمية صحيحة، اعتمدت في طرحها على المنهج التاريخي السردي، من خلال الوقوف على أهم الأحداث التاريخية، والمنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف الأحداث وتحليلها للوصول إلى أجوبة التي ظلت تطرح.

أما عن الإطار المكاني والزماني للموضوع فينحصر في السودان الحالي وجزء من أوغندا الشمالي، أما فترة البحث فتغطي ثمانية عشر سنة من 1881 إلى 1899م وذلك لاعتبارات الآتية، كون العديد من الباحثين يعتقدون أن الثورة المهدية هي فقط امتداد من 1881 إلى 1885م، إلا أن هذا كله يعتبر من الأخطاء الشائعة، فهذه الفترة نصطلح على تسميتها الثورة في مرحلتها الأولى والتي أخذت اسم زعيمها وعلى هذا الأساس لم يكن موضوع البحث ثورة محمد أحمد المهدي وجعلتها تحت عنوان الثورة المهدية أي من قيامها إلى غاية سقوطها، والحجة في ذلك تأيد عدد من المؤرخين لذلك، من بينهم المؤرخ السوداني نعوم شقير في كتابه **تاريخ السودان** وكتاب مكي شبيكة بعنوان **السودان عبر قرون**، وكتاب ونستون تشرشل بعنوان **تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني**، واختلفت الفترة الأولى عن الفترة الثانية والأخيرة كون أن المرحلة الأولى كان زعيمها محمد أحمد المدعي أنه المهدي المنتظر، وفي المرحلة الثانية كان زعيمها الخليفـة عبد الله التعايشي والذي حافظ على نفس الأهداف والمبادئ فكانت

استمرارا للمرحلة الأولى، وهذه الفترة لم تحظى بالاهتمام من قبل الباحثين فاقتصر الأمر على الإشارة إليها باقتضاب، وهناك من مر عليها مرور الكرام، وذلك رغم طول مدتها حوالي ثلاثة عشر سنة.

ومن بين الدراسات السابقة للموضوع مذكرة ماجستر تحت عنوان **ثورة محمد أحمد المهدي في السودان 1881_1885م** لعامر زناتي، والتي زودتني بمعلومات فقط عن المرحلة الأولى أما المرحلة الموالية تناولها باختصار شديد، في حين زودتني مذكرة تحت عنوان **الأوضاع السياسية للدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي 1885_1898م** لعطيات بشير، ونلاحظ عليها نفس ملاحظة المذكرة السابقة، لكنها ركزت فقط على الفترة الأخيرة من المهدية، ولهدا لم أجد ما يشفي الغليل حول هذه الفترة. وعلى هذا الأساس أردت أن يكون الموضوع مغايرا وأن يجمع بين الفترة الأولى والأخيرة دون تقصير في حق أي فترة، وذلك بذكر ايجابيتها وسلبياتها.

ولطبيعة الموضوع اخترت الخطة الآتية، وتشمل خطة البحث على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق، وقائمة المصادر والمراجع.

المدخل كان تحت عنوان لمحة جغرافية تاريخية حول السودا ن، الذي اعتبرناه بمثابة الأرضية الموضوعية التي ننطلق منه ا إلى مسرح الأحداث، حيث تناولنا فيه أولا معنى مصطلح السودان وكيف أطلق المؤرخون والجغرافيون اسم بلاد السودان على تلك الأراضي الواقعة جنوب مصر، ثم نذكر التقسيمات الإقليمية للسودان والمتمثلة في السودان الغربي والأوسط والشرقي والذي يندرج منه السودان الحالي، ثم تناولنا الموقع الجغرافي بذكر المساحة والمناخ وحدوده، لنعرج إلى أصل السودان ونحاول ذكر أهم القبائل، ثم نعطي لمحة عن الحضارات التي تعاقبت على تاريخ السودان، وينتهي المدخل إلى حدود 1821م وهو تاريخ حملة محمد علي باشا على السودان، ليكون بداية للفصل الأول لنتساءل في الأخير فما هي الأسباب الحقيقية التي دفعته لتوجه نحو السودان؟ وكيف تم ذلك؟

الفصل الأول جاء تحت عنوان الأوضاع العامة في السودان قبل اندلاع الثورة المهدية من 1821 الى1881م، والتي نستهلها بالأوضاع السياسية والتي نبدأها بأسباب حملة محمد علي باشا على السودان بذكر أهم الأسباب التي دفعته إلى فتح السودان كما يسميها المؤرخين المصريين أو الغزو كما يسميها المؤرخين السودانيون وذلك بذكر الأسباب الاقتصادية والعسكرية والتوسعية والأمنية ثم نتطرق إلى مراحل هذه الحملة بقيادة إسماعيل بن علي باشا وبقيادة صهره الدفتردار، ثم نعطي مختصرا لأهم الولاة الذين حكموا السودان إلى غاية قيام الثورة المهدية 1881م وانعكاس ذلك على الأهالي وردة فعلهم إزاء هذا الحكم، وبعدها نتطرق إلى الأوضاع الاقتصادية بالتحدث عن الزراعة والصناعة والتجارة ونظام

الضرائب والتي تميزت بالاستغلال وعدم التطور، ثم الأوضاع الدينية التي كانت سائدة في السودان، فنذكر أهم الطرق الصوفية التي كانت تلقى رواجا وولاء كبير من قبل سكان السودان، منها الطريق ة الشاذلية والطريقة القادرية والطريقة السمانية والطريقة الختمية وذلك لتأثيراته ا في السودان، لنتساءل في الأخير ما هي الأسباب التي أدت إلى اندلاع الثورة المهدية؟ ومن هذه الشخصية التي تمكنت من توحيد جموع السودانيين تحت راية واحدة؟

أما الفصل الثاني فأعطيناه عنوان الثورة المهدية في مرحلتها الأولى 1881_1885م (بقيادة محمد أحمد المهدي)، حددتها بفترة 1881م لكونها منطلق الحركة المهدية، وكان تحديد فترة 1885م اعتبارا لوفاة زعيمها وقائدها محمد أحمد المهدي.

نبدأها بذكر أسباب الثورة المهدية والتي تعددت بين الأسباب الدينية وكان أهمها عقيدة المهدي المنتظر والتي سوف نتناولها بالتفصيل فيما بعد، والسياسية والاقتصادية والاجتماعية هذه الأسباب التي كانت الشرارة الأولى لقيام هذه الثورة، كما يمكن اعتبارها الأسباب التي أدت إلى نجاحها، ثم تناولنا حياة محمد أحمد بذكر مولده ونشأته ثم حياته في التصوف وكيف دخل إلى الطريقة السمانية ليصبح فيما بعد أحد زعمائها، أولا مع شيخه محمد الشريف نور الدايم، ثانيا مع الشيخ القرشي ود الزين، ثم تحوله من الصوفية إلى المهدية وهي بداية مرحلة جديدة في حياته بصفة خاصة وفي حياة السودانيون بصفة عامة، ودعوته إلى ذلك والتي اتخذت في بادئ الأمر السرية ليخرج بها بعد فترة وجيزة إلى العلن، لتكون انطلاقة وبداية للثورة المهدية.

ثم نتطرق إلى أهم وقائع ثورة المهدي وذلك بتقسيميها إلى مرحلتين، المرحلة الأولى وهي مرحلة الدفاع والتمكين من 1881 إلى 1883م، وذلك لأن هذه الفترة تميزت فقط بالدفاع عن معاقل الثورة ومبادئها وتحقيق انتصارات في وجه الحكومة المصرية بالرغم من حداثتها وقلة أنصارها وعتادها، أما المرحلة الثانية هي مرحلة الهجوم من 1883 إلى 1885م، وذلك لأن هذه الفترة تميزت بالمبادرة بالهجوم وإلحاق الهزائم بالحكم المصري وإعلان قيام أول حكومة محلية من أبناء السودان على أنقاض الحكومة المصرية العثمانية.

ثم نتحدث عن وفاته والتي ستكون نهاية المرحلة الأولى من الثورة المهدية، لنتساءل في الأخير كيف سيكون ردة فعل أهالي السودان الذين أمنوا بفكرة المهدي المنتظر بعد سماعهم خبر وفاته؟ وما هو مصير الدولة الجديد التي عمل على تجسيدها؟ وهل سيتمكن الخليفة من بعده مواصلة ما بدأه المهدي وتحقيق المزيد من التوسعات؟

الفصل الثالث تحت عنوان الثورة المهدية في مرحلتها الثانية والأخيرة من 1885 إلى 1899م (بقيادة عبد الله التعايشي)، حددتها بفترة 1885م كونها بدأت بزعيم أخر بعد وفاة المهدي وهو عبد الله التعايشي خليفة المهدي، ليواصل ما بدأه المهدي بعد أن وفاته المنية، وكان تحديد فترة 1899م وذلك اعتبارا لوفاة قائدها، ونستهلها بذكر حياة عبد الله الذي تولى خلافة المهدية فنذكر مولده ونشأته، ثم نتناول مكانته في خلافة المهدي والتي كانت بمثابة المكانة الثانية في الدولة المهدية، ثم توليته الحكم ليصبح المكانة الأولى في الدولة المهدية.

وبعدها نتناول حروب الخليفة الداخلية والمتمثلة في الفتن الداخلية التي ظهرت بعد وفاة المهدي، ثم نتناول التوسعات التي كانت في عهده والتي كانت تكملة للمناطق التي استهل المهدي في إخضاعها، وبعدها نتناول الحروب الخارجية والتي كانت مع الحبشة وانتهت بانتصار أتباع الخليفة التعايشي، ثم مع مصر والتي انتهت بتشتت أتباع الخليفة وهزيمتهم، ومع الايطاليين والتي كان مصيرها اقتطاع الايطاليين منطقة مصوغ وكسلا من السودان، ثم ننتقل إلى مرحلة الغزو البريطاني المصري، من خلال ذكر أسباب الغزو البريطاني وما أعقبها من حملات لتكون النهاية بسقوط المهدية، وعليه انطوت المرحلة الثانية والأخيرة لثورة بوفاة عبد الله التعايشي وهو يكافح إلى أخر لحظة في حياته، وقيام الحكم الثنائي الانجليزي والمصري في السودان بذكر البنود التي نصت عليها الاتفاقية.

وقد أنهيت البحث بخاتمة والتي كانت بمثابة خلاصة عامة لأهم النتائج التي تم التوصل إليها.

وتتمة لهذه الدراسة ألحقت بها مجموعة من الملاحق الضرورية المتمثلة في بعض الخرائط والصور لتدعيم البحث، وأعقبتها بقائمة المصادر والمراجع.

حتى تكون الدراسة شاملة اعتمدت على مجموعة من المصادر سواء لكتاب سودانيون أو مصريون أو أجانب وكان أهمها:

كتاب **السودان بين يدي غوردون وكتشنر** لمؤلفه إبراهيم فوزي باشا وتكمن أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه يعد أول من رافق غوردون الذي تم تعينه حكمدار على السودان سنة 1879م وأخر من ودعه، وهو عبارة عن مجلدين يؤرخان للسودان في الفترة المذكورة، وتكمن أهمية الكتاب في أن صاحبه عايش ثورة محمد أحمد المهدي لذا فإن هذا الكتاب يعد المصدر الأول لتاريخ السودان في تلك الفترة.

وكتاب **السيف والنار** لمؤلفه سلاطين باشا وهو أحد الضباط النمساويين، عينه غوردون حاكما لمديرية دارفور 1884م، اعتقلته جيوش المهدي إلى غاية سنة 1895م أين فر والتحق بالجيوش المصرية

وشارك في عمليات الاسترداد، أما كتابه فيتناول فيه بالتفصيل الوقائع التي كانت في إقليمه، كما أنه يعطي لنا لمحة عن السودان في تلك الفترة.

كتاب **تاريخ السودان** لمؤلفه نعوم شقير الذي يعتبر من المؤلفين الذين عايشوا تلك الأوضاع فكتبوا عنها، ويحتوي على الكثير من المعلومات الهامة في هذه الفترة، وما يعاب عنه أنه يمتاز بعدم التسلسل التاريخي للحدث.

أما عن المراجع فنذكر:

كتاب **الإمام المهدي** لمؤلفه محمد سعيد القدال، ويعتبر أول من درس الثورة المهدية بالاعتماد على الوثائق الأرشيفية الموجودة في السودان.

كتاب" **المقاومة الداخلية لحركة المهدية** لمؤلفه محجوب مالك وركز هذا الكتاب على المرحلة الأخيرة للثورة المهدية.

إضافة إلى المراجع الأجنبية من بينها:

كتاب **The Sudan Under Wingate Administration in The Anglo Egyptian Sudan (1899–1916)** للمؤلف Wapurg Gabriel، امتازت المراجع الأجنبية أغلبها بالتحيز للجانب الانجليزي باعتبار أن أغلب من كتب على السودان من الغرب هم الكتاب الانجليز بحكم احتلال الانجليز للسودان.

هذه بعض المصادر والمراجع المهمة التي اعتمدت عليها في سبيل الوصول إلى حقائق تاريخية علمية صحيحة.

أما عن الصعوبات التي لا يخلو منها أي بحث أكاديمي، الموضوع في حد ذاته، فهذه المنطقة لم أكن أملك عنها معلومات قبل البحث كافية تساعدني في التقرب من الموضوع، أيضا قلة المصادر والوثائق التي يعول عليها لانجاز الموضوع، خاصة إذا علمنا أن معظمها خارج الوطن، وما هو موجود عبارة عن كتب الكترونية PDF ، وافتقار المكتبات الجزائرية من الكتب التي تتناول هذا الموضوع، أيضا صعوبة تحديد بعض المناطق في السودان لعدم وضوحها في الخريطة.

وفي الختام لا يسعنا إلا القول الحمد لله الذي لا يصعب مع دعائه ش ئ ، أن يسر لي ما قصدت وذلل لي ما أردت.

المدخل

لمحة جغرافية تاريخية حول السودان

1- معنى مصطلح السودان

2 _ التقسيمات الإقليمية للسودان

3 _ الموقع الجغرافي

4 – أصل السكان

5 – الحضارات التي تعاقبت على تاريخ السودان

قبل معالجة الثورة المهدية كان لابد أن نتطرق بإيجاز إلى جغرافية وتاريخ السودان، لتعرف على البلاد التي ستكون الأرضية والمنطلق لهذه الثورة وسوف نتناول فيها مايلي:

1_ معنى مصطلح السودان: في اللغة السود [1]، كلمة أطلقها العرب حيث شد انتباهه م لون البشرة الغالب على سكان المساحات والأقاليم الواسعة من افريقية [2]، وبالتالي نسبوا المنطقة إلى سكانها [3]، كما أطلق اسم كوشى في العصور السابقة قبل الميلاد على الأراضي الواقعة جنوب مصر وشرق افريقيا [4]، وعرف أيضا باسم أثيوبيا الذي أطلقه اليونان وهي تعني الوجه المحروق[5].

وابتدع الرحالة والجغرافيون العرب مصطلح بلاد السودان ليشمل مناطق السافانا التي تتوسط الصحراء الإفريقية الكبرى في الشمال، والغابات الاستوائية في الجنوب، وتمتد من المحيط الأطلسي غربا حتى البحر الأحمر شرقا، وقسم هذا الحزام السوداني الضخم أحيانا إلى ثلاثة أقاليم رئيسية من الغرب إلى الشرق[6].

2_ التقسيمات الإقليمية للسودان: يمكن تقسيم هذه المنطقة الواسعة إلى ثلاث أقسام أساسية:

أ_ السودان الغربي : تحدها شمالا الصحراء الكبرى، وشرقا بحيرة التشاد، وغربا وجنوبا المحيط الأطلسي.

ب_ السودان الأوسط: يشمل المناطق المحيطة ببحيرة التشاد[7].

1- محمد مهري كركوكي، **رحلة مصر والسودان**، دار المعارف، مصر، 1914م، ص331.

2- صلاح الدين علي الشامي، **السودان دراسة جغرافية**، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 2002م، ص12.

3- محمود شاكر، **السودان**، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان،1971م، ص09.

4- محمد أحمد حسب الله ، **قصة الحضارة في السودان من 3400ق.م إلى 1900م**، دار يوليو للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1932م، ص12.

5- أمل عجيل، **قصة وتاريخ الحضارات العربية**، موسوعة تاريخية جغرافية حضارية أدبية ليبيا والسودان والمغرب، ج19_20، دار بيروت، لبنان، 1999م، ص53.

6- محمود شاكر، المرجع السابق، ص09.

7- لحواس غربي، **السيادة السعدية بالبلاد السودانية**، مذكرة ماجستر غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، 2009-2010م، ص15،16.

ج- السودان الشرقي: يشمل مناطق نهر النيل * وراوفده وجنوب بلاد النوبة [1]، وهذا الاسم ينقسم بدوره إلى قسمين:

- **النوبة السفلى:** ويطل على المنطقة التي تمتد تقريبا من الحدود الجنوبية لمصر حتى منطقة الشلال الثاني على النيل.

- **النوبة العليا:** وهي تمتد إلى الجنوب من الشلال الثاني حتى دنقلة** [2].

أطلق العرب على قسم السودان الشرقي ما بين القرن التاسع هجري والثاني عشر ميلادي اسم بلاد الزنج، إلا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضا، وإذا بحثنا عن حدود هذا المفهوم الاصطلاحي لكلمة السودان من ناحية الجغرافية عند العرب أمكننا أن نعتبر حدوده الشمالية هي بدايات الصحرا ء الإفريقية الكبرى، ويحده جنوبا درجة 10° شمالي خط الاستواء، أما الحدود الغربية والشرقية فهي المحيط الأطلسي من الغرب، والمحيط الهندي من الشرق.

وبعد العرب جاء الأوروبيون فبقي تداول هذا المصطلح، ولكن الكلمة استعملت استعمالات جزئية، فبينما أطلقها الفرنسيون على ممتلكاتهم في غربي إفريقيا، استعملها الانجليز للدلالة على ما كان يعرف لديهم بالسودان المصري، ويشمل الآن جمهورية السودان وجزء من أوغندا الشمالية[3].

---

* النيل: مكون من حوضي فرعين هما حوض النيل الأبيض النابع من الهضبة الاستوائية، وحوض النيل الأزرق النابع م ن الهضبة الأثيوبية، والنهران الأزرق والأبيض يلتقيان في مدينة الخرطوم، أنظر الصادق المهدي، **مياه النيل الوعد والوعيد**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 2000م، ص 27،26.

1- لحواس غربي، المرجع السابق، ص17.

** دنقلة: هي دنقلة بضم أوله وسكون ثانيه وضم قافه، وهي مدينة كبيرة في بلاد النوبة، وهي منزلة ملك النوبة على شاطئ النيل، وطول بلادها على النيل مسيرة ثمانين ليلة. أنظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م، ص470.

2- محمد إبراهيم بكر، **المدخل إلى تاريخ السودان القديم**، مكتبة الإسكندرية، مصر، ب.س، ص09.

3- عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء(دراسات ونصوص)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص11.

3_الموقع الجغرافي: بعد التعرف على السودان كمصطلح، نتناول موقع السودان الحالي أو السودان المصري أثناء الفترة المدروسة، إذن للسودان مميزات جغرافية تجعله فريدا بين أقطار القارة الإفريقية [1]، حيث يعتبر أكبر دولة افريقية من حيث مساحته، التي تبلغ حوالي 25.5813 كلم^2، ويقع السودان بين خطي عرض 3°_23° شمالا، وخطي طول 21°و 39°شرقا خط غرينتش [2]، وبذلك يشمل عدة مناطق مناخية هي الاستوائية والمدارية والصحراوية[3].

يحد السودان من الشمال جمهورية مصر، ومن الشمال الغربي ليبيا، ومن الشرق البحر الأحمر واريتريا وإثيوبيا، ومن الجنوب الشرقي كينيا، والجنوب يوغندا، ومن الجنوب الغربي كل من الزئير (الكونغو الديمقراطية) وإفريقيا الوسطى، ومن الغرب تشاد (أنظر خريطة رقم01).

كما يتميز السودان بنهر النيل الذي يجري فيه على طول واديه من الجنوب إلى الشمال، ومعظم أجزاء السودان تتكون من سهول منبسطة، مع وجود بعض السلاسل الجبلية، وتختلف النباتات في أنواعها اختلافا واسعا، إذ تتدرج من الأعشاب الصحراوية في الشمال إلى أن تنتهي بالغابات الاستوائية الكثيفة في الجنوب، كما يعتبر من الأقطار الزراعية والرعوية[4].

4_السكان: يعتبر السكان مزيج من شعوب مختلفة وقبائل متنوعة، بحيث سكن الإنسان منطقة السودان منذ أقدم العصور[5]، وأهم هذه المجموعات نذكر:

أ_ الزنوج: هم سكان السودان الأصلين ويعرفون أيضا بالسود[6]، وهم بدورهم ينقسمون إلى:

_المجموعة النيلية وتضم الدينكا، والشلك، والنوير، والأنجو، والأنواك، والبلاندا.

_ المجموعة النيلية الحامية وتضم المورلي، والديدنقا، والبويا، والمنداري، والتوركانا، والباري، والتبوسا، والأتوكا.

1- محمد محمود الصياد، محمد عبد الغنى سعودي ، **السودان(دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي)**، دار الرائد للطباعة، القاهرة، مصر، 1966م، ص05.

2- أمل عجيل، المرجع السابق، ص51.

3- محمود شاكر، المرجع السابق، ص44.

4- محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900_1969م**، دار السودانية للكتب لطباعة والنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان، 1980م، ص5،6.

5- محمود شاكر، المرجع السابق، ص09.

6- عامر زناتي، **ثورة محمد أحمد المهدي في السودان 1881_1885**، مذكرة ماجستر غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة الجزائر2، 2009_2010م، ص18.

_ المجموعة السودانية وتضم الزندي، وامورو، والمادي والبنقو، وكريش[1].

ب_ البجاة: تضم المجموعة البجاوية قبيلة الأمرآر، والبشارية، والهدندوة، وبني عامر.

ج_ النوبة: وهم شعب نهري أصيل يعيش على ضفاف النهر وتتضمن ثلاث مجموعات هم الدناقلة والمحس والسكوت[2].

د_العرب: وهم معظم سكان السودان، وأشهر القبائل العربية هم الجعليون يعود أصلهم إلى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، يعمل أفرادها في الزراعة والتجارة، وأهم قبائلها:

_ الميرفاب ويقيمون في مدينة بربر ويعملون في الزراعة والري.

_ الرباطاب يعيشون على ضفتي نهر النيل، حيث يزرعون شجر النخيل والتمر.

_ الشايقية يقع موطنهم على ضفتي نهر النيل يمتازون بكرمهم.

_ الركابية يقيمون في دنقلة ويعود أصلهم إلى الحسين، يمتازون بكرمهم وبذلك هم عدنانيون قريشيون وجهتهم تنسب إلى العرب القحطانيين، قدموا من اليمن تتفرع منهم قبيلة الكبابيش والبقارة[3].

لعبت هذه المجموعات من القبائل باختلافاتها العرقية والثقافية والبشرية تفاعلا فيما بينها، لتنتج ما يعرف بالشعب السوداني (أنظر الخريطة رقم02).

5_الحضارات التي عرفها تاريخ السودان:

كانت أول دولة أنشئت في السودان في العهد القديم هي مملكة نبتة 735ق.م إلى 350ق.م، بالقرب من جبل البركل، أما عن مروى وهي المملكة القديمة الثانية[4]، استقرت في منطقة واسعة من إقليم حوض حوض وادي النيل الأوسط[5].

ويمكن احتساب ظهور السودان كأمة منذ القرن الثالث الميلادي، عندما بدأت الخصائص الأساسية في الحضارة المروية تؤكد وجودها، فرغب الرومان في غزوها فقاموا بإرسال حملة استطلاعية، وجاء

1- محمد خليل صبري، «**الهوية السودانية وجدلية الوحدة والتعدد** »، المجلة العربية للعلوم السياسية ، ع20، جامعة الخرطوم، خريف 2008م، ص 115.

2- صلاح الدين علي الشامي، المرجع السابق، ص 225.

3 أمل عجيل، المرجع السابق، ص 59-61.

4- محمد عمر بشير، المصدر السابق، ص8، 9.

5- عبد الجليل الشاطر البصيلي، **تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر ميلادي**، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1972م، ص78.

في تقريرهم أن البلاد فقيرة ولهذا ترك الرومان فكرة الغزو، إلا أنها بقيت محل هجوم من قبل الأثيوبين من ناحية الشرق، ومنذ دلك أصبح تاريخ السودان مجهولا إلى غاية ظهور الممالك السودانية الثلاث وهي نوباطيا ومقرة وعلوة والتي اعتنقت الديانة المسيحية، ووجدت الكنيسة القبطية مقرا احتمتبه في السودان وجاءت المرحلة التالية الهامة في تاريخ السودان نتيجة دخول العرب والإسلام في ربوع السودان، واتخذ دخول العرب إلى السودان عبر ثلاث طرق، أولهما من الشمال عبر سيناء ثم مصر، وثانيهما من الجنوب عبر باب المندب مرورا بأثيوبيا، وثالثهما هو الطريق غير المباشر عبر البحر الأحمر[1]، وظلوا يتفاعلون مع الوضعيات الثقافية السودانية إلى غاية سنة 1505م، حيث تحالفت قبائل العبدلاب* مع قريش ومع قادة الفونج** التي تمكنت من إسقاط أخر معاقل للمسيحية، فظهرت الممالك والسلطنات الإسلامية التي امتدت عبر قرون وهي ممالك العبدلاب والفونج وسلطنات تقلي والفور*** في منتصف القرن 15م، وفي منتصف القرن 17م أصبحت الكفة لغلبة الإسلام والثقافة العربية، وانتشار العديد من القبائل العربية، وتمكنت مملكة الفونج، أن تحافظ على قوتها إلى غاية 1821م حيث سقطت على يد حملة محمد علي باشا****، وفي خضم هذه الأحداث كانت مصر قد شهدت تغيرا كبيرا بعد وصول محمد علي إلى هرم

1- محمد عمر بشير، المصدر السابق، ص 09.

* العبدلاب: هي مجموعة عربية تحالفت مع الفونج لإسقاط أخر الممالك المسيحية في السودان في بداية القرن الرابع عشر ميلادي. أنظر: عثمان سراج الدين فتح الرحمن، « **تاريخ الطرق الصوفية في السودان: بالإشارة خاصة للطريقة القادرية»**، مجلة العلوم الإنسانية www. ulumn، ع42، جامعة جوبا، 1_07_2009، ص08.

** الفونج: يدعي بعضهم الأصل العربي الأموي فروا من العباسين وجاءوا إلى الحبشة ثم عبروا إلى السودان. أنظر: أحمد بوعتروس، **الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر هجري- التاسع عشر ميلادي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 369.

*** الفور: تعتبر سلطنة الفور من العرب الذين وفدوا للسودان الغربي من مراكش، وتونس، ومصر، ونشروا نفوذهم على القبائل بغرب السودان. أنظر: شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم**، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1996م، ص 86.

**** محمد علي: ولد في مدينة قوله سنة 1869م، توفي والده وهو صغير فرباه عمه حتى بلغ أشده فزوجه من ابنته ثم عمل بتجارة الدخان، ولما دخل الفرنسيون مصر أتى محمد مع من أرسل من الجنود لمحاربتهم، وأخذ يتدرج في المسؤوليات إلى أن أصبح واليا على مصر، فقد أصدر الباب العالي فرمانا بذلك وصل مصر في 10 ربيع الثاني سنة 1220هـ الموافق لـ 08 جويلية 1805م، وهو مؤسس العائلة الخديوية، توفي بالقاهرة في 02 أغسطس 1849م، ودفن في الجامع الذي بناه بالقلعة، أنظر: ناصر الأنصاري، **المجمل في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية**، دار الشروق،

السلطة فيها، فبدأ يخطط لتوسيع رقعتها والاستعداد للانفصال عن الخلافة العثمانية فوجها طموحه نحو السودان فما هي الأسباب الحقيقية التي دفعته لتوجه إلى السودان؟ وكيف تم ذلك؟

القاهرة، مصر، 1997م، ص215. للمزيد أنظر: محمد صبري، **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1926م، ص 31.

الفصل الأول

الأوضاع العامة للسودان قبل اندلاع الثورة المهدية من 1821م إلى 1881م

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

1_ أسباب حملة محمد علي باشا على السودان

2_ مراحل حملة محمد علي باشا على السودان

3_ ولاة السودان (حكمدار السودان) أثناء الحكم المصري العثماني

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية

1_ الزراعة والصناعة

2_ التجارة

3_ النظام الضريبي

المبحث الثالث: الأوضاع الدينية

1_ الطريقة الشاذلية والقادرية

2 _ الطريقة السمانية

3 _الطريقة الختمية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية.

ظل السودان لقرون عديدة ملاذا لأعداد هائلة من المجموعات السكانية، جذبتها إليه موارده الطبيعية وأهمها مصادر المياه الدائمة فيه والمتمثلة في نهر النيل وفروعه، هذه الموارد الوفيرة في السودان نجدها شحيحة أو تكاد تنعدم لدى عدد من جيرانه، فلقد كانت سهوله المنبسطة دار خير يتوجه إليها أهل شمال القارة وشرقها وغربها وجنوبها والوافدون إليها من قارات أخرى، ولهذا شكلت مزيج من الأجناس، وهذا ما جعل منها تكون هدفا للاستغلال والاستنزاف من الدول وعلى رأسها مصر.

1_أسباب حملة محمد علي باشا على السودان: بعد أن تمكن محمد علي من تثبيت حكمه في مصر، لاسيما بعد قضاءه على المماليك المشهورة بمذبحة القلعة* الذين كان يخشى غدرهم، إلى جانب نجاحه في التخلص من الوهابين**، وسيطرته على شبه الجزيرة العربية، وعلى الرغم من تلك الانتصارات التي حققها إلا أن هذا كله لم يكن يوازي طموحاته وهذا ما دفعه إلى فتح السودان، ليكون لهذا الدافع العديد من الأسباب نذكر منها:

أ_الأسباب الاقتصادية:

_الحاجة إلى الأموال من أجل تنفيذ وتطبيق المشروعات، لاسيما بعد أن صرفت أموالا طائلة في حرب الوهابيين، لتصبح السودان هي المخرج أمام محمد علي من الأزمة المالية(1)، خاصة بعد اكتشاف ثروات السودان من ذهب وفضة وعاج، من أجل استغلالها لتعويض خسائر حروبها(2).

---

* مذبحة القلعة: كانت العلاقات بين محمد علي والممالك منذ انفراده بالحكم قد وصلت إلى طريق مسدود، فأعرب محمد علي عن رغبته في الصلح معهم والسماح لهم بالعودة إلى القاهرة، ثم دبر لهم خطة لاغتيالهم في سرية تامة حيث استدرجهم إلى القلعة وعند مغادرتهم منها امتطوا خيولهم، ولم يتفطن المماليك إلى إغلاق الباب حتى وجدوا أنفسهم محصورين، وبعدها بدأ الرصاص عليهم، فسدت منافذ النجاة أمامهم وتكدست جثث القتلى حتى بلغ عددها 470 قتيلا، أنظر: جمال بدوي، **محمد علي وأولاده**، مكتبة الأسرة ، القاهرة، مصر، 1999م، ص65–68.

** الوهابين: قوم من العرب اتبعوا طريقة عبد الوهاب، وهو رجل ولد بالدرعية بأرض العرب من بلاد الحجاز، درس مذهب أبي حنيفة في بلاده سافر إلى أصفهان ولاذ بعلمائها وأخذ عنهم حتى اتسعت معلوماته في ضروع الشريعة ثم عاد إلى بلاده 1171هـ، فأخذ يقرر مذهب أبي حنيفة مدة ثم أدته ألمعيته إلى الاجتهاد والاستقلال فأنشأ مذهب مستقلا لتلامذته فتتبعوه وشاع أمره، أنظر: جمال بدوي، المرجع السابق، ص404.

1– محمد محمود السروجي، **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، ب.د.ن، الإسكندرية، مصر، 1998م، ص263.

2– محمد بن إسماعيل المقدم، **المهدي**، ج1، ط8، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص446.

ـ ضمان مياه النيل باعتبار مصر بلد زراعي، وذلك نظرا لموقعها الاستراتيجي على مصب النيل، ولضمان وصول مياه النيل إليها، أرادت الاستيلاء على منابع النيل ليصبح خضوعه للسيادة المصرية، لاسيما بعد أن قامت الحبشة بتهديد قطع مياه النيل عن مصر[1].

ـ الانتفاع من التجارة السودانية، حيث لم يكن يقصد السودان إلا التجار المصريون المخاطرون من أهل الصعيد، وكانوا في خطر دائم هم وأولادهم[2].

ب_الأسباب العسكرية والتوسعية:

ـ إمداد جيشه برجال من السود الذين عرفوا منذ عهد الفراعنة بصلاحيتهم وشدتهم في الحروب، ولهذا رغب في تأليف جيش من أهل السودان[3]، حيث اعتبرهم بمثابة الرجال الأشداء الذين يمكن الاعتماد عليهم في تكوين جيش جديد وقوي[4].

ـ إشغال أو التخلص من الجند عن طريق إرسالهم إلى السودان[5]، حيث أصبحوا يشكلون له مصدر تعب، لأنه أراد أن ينظم جنده على أمثال جند بونابرت، فلم يوافقوه على ذلك واعتبروا عمله بدعة، ولم يرد قهرهم لأنهم هم الذين شدوا أزره وساعدوه على تثبيت حكمه في مصر، فأراد أن يرسلهم إلى السودان ليستريح من أتعابهم من جهة وينال بهم مطمعه بالفتح من جهة أخرى.

ـ رغبة محمد علي في تأسيس إمبراطورية، وحلمه أن تكون واسعة الأجزاء، تمتد من الجزيرة العربية إلى المحيط الهندي، وتشمل السودان وشواطئ البحر الأحمر وحوض النيل[6].

ج_الأسباب الأمنية:

ـ نظرا لتلك الاضطرابات التي عرفتها الحدود الجنوبية لمصر بسبب وجود المماليك في هذه المناطق[7]، بعد أن أصبحت مأوى لهم نتيجة فرارهم من محمد علي بعد مذبحة القلعة، حيث أصبح يشكل بقائهم على

1- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص264.

2- نعوم شقير، **تاريخ السودان**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1981م، ص 194.

3- المصدر نفسه، ص 164.

4- عمر طوسون، **الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي باشا**، ط3، مطبعة المستقبل، الإسكندرية، مصر، 1935م، ص 06.

5- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص 263.

6- أمل عجيل، المرجع السابق، ص70.

7- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 1997م، ص168.

الحدود خطرا لهم، وبالتالي فان التخلص منهم يعتبر الحل الأمثل قبل أن يكثر عددهم من خلال انضمام العناصر المناوئة لمصر إلى السودان(1).

بعد ذكر لأهم الأسباب إلا أنه يبقى أكبر العوامل شأنا في إرسال محمد علي لحملته على السودان والذي يمكن أن نصطلح على تسميته السبب المباشر، وهي مطالبة السودانيين له بالتوجه إليهم وإنقاذهم من حالة الفوضى السائدة هناك بسبب الخلافات بين القوى القبلية المحلية(2)، ومن بينهم أن الملك نصر الدين ملك الميرفاب أرسل وفد إلى محمد علي وشرح له حال سنار* وما صارت إليه من الضعف والانحلال وهون عليه أمر افتتاحها، وجاءه رجل من عائلة الزبير المالكة في أرقو** وأخبره بحال دنقلة، وأمر الممالك فيها وما تعيشه من اضطرابات(3).

إلا أن المؤرخون السودانيين ومن بينهم الدكتور حسن إبراهيم يعتبر حملة علي باشا على السودان هي غزو، حيث يذكر أن الفئة القليلة من الزعماء السودانيون الذين ذهبوا إلى مصر كانوا يمثلون أنفسهم فقط، وذلك من أجل تحقيق مآرب ومطامع شخصية بحتة، وحجته في ذلك إذا كان السودانيون قد طلبوا من محمد علي فتح بلادهم فلماذا قاموا بمقاومة حكمهم؟ ولماذا اندلعت الثورة المهدية؟(4)

إلا أننا في بحثنا هذا اكتفينا بذكر حملة محمد علي باشا باعتبار الدولة العثمانية هي وريثة الشرعية لدولة العباسية وهي دولة إسلامية ولهذا لا يمكن اعتبارها غزو فهي ليست دولة أجنبية، رغم مساؤها في بعض الحالات، مثال في الجانب الإداري حيث كانت تعتمد على الأتراك في تولية المناصب العليا و استبعاد سكان البلاد.

1- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص264.

2- ياسين نمير طه، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، 2009م، ص85.

* سنار: المقصود بجزيرة سنار هي المناطق المحصورة بين النيلين الأبيض والأزرق، وتعرف في الوقت الحاضر بأرض الجزيرة أو جزيرة النيل الأزرق، ومدينة سنار عاصمة مملكة الفونج منذ سنة 1504م حتى الفتح مابين 1505م إلى 1821م. أنظر: محمد بن عمر التونسي، **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1965م، ص30.

** أرقو: هي مملكة قامت في جزيرة أرقو على أنقاض مملكة قديمة في زمن الجاهلية، حكمت فيها عائلة عرفت بعائلة الزبير، وهذه المملكة هي أقصى الممالك التي خضعت للفونج من جهة الشمال. انظر: نعوم شقير، المصدر السابق، ص428- 431.

3- عامر زناتي، المرجع السابق، ص24،25.

4- عبد العظيم رمضان، **أكذوبة الاستعمار المصري للسودان**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ب.س، ص33،34.

2_ مراحل حملة محمد علي باشا على السودان:

بعد استعراض لأهم الأسباب التي مهدت لمحمد علي وجعلته يضع في مخططه العزم على فتح السودان سنة1821م، مع العلم أن محمد علي باشا تمهيدا لهذه الخطوة أرسل سنة 1812م وفدا إلى ملك سنار، وكان قصده في الظاهر رغبة في تحريض الملك من أجل طرد المماليك، وفي الباطن رغبة في الاستطلاع على أحوال البلاد وما يلزمه من الجيش لفتحها وأرسل مع الوفد هدايا ثمينة، ولما عاد الوفد جاءه بأخبار سارة بأنه يمكنه ذلك، فقوى عزمه على الفتح وفي سنة 1821م أتم استعداداته في تجهيز جيشه من أجل حملته على السودان(1).

كانت العملية العسكرية الأولى بقيادة ابنه إسماعيل تتألف من 40،000 جندي فكان مزيجا من الحبشة والأتراك والمغربين وغيرهم، وأرسل مع جيشه ثلاثة علماء هم القاضي محمد الأسيوطي الحنفي والسيد أحمد البقلي الشافعي والشيخ السلاوي المالكي، واقتصر عمل هؤلاء على إقناع السودانيين المسلمين بالانصياع للوالي المسلم، وتوجه الجيش لفتح الأقاليم المنضوية تحت مملكة الفونج، دخلت قوات إسماعيل البلاد دون مقاومة تذكر حتى بلغت بلاد الشايقية(2)، الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أسياد الحرب، وعندما وصل الجيش إلى موطنهم طلب منهم إسماعيل أن يتنازلوا عن سلاحهم وخيلهم فرفضوا الخضوع لهذه الشروط، فالتقى الفريقين في موقعة كورتي لتنتهي بهزيمة الشايقية(3).

بقي إسماعيل باشا في كورتي إلى أن تكامل جيشه، ودبر ما يلزمه للمواصلة تجاه بربر *، فقابله ملكها نصر الدين ملك الميرفاب بالترحاب فهنآه بالنصر فآمنه على بربر.

وفي 22 مارس 1821م جاءه الملك نمر ملك شندى** وقبائل الكبابيش والحسانية والبشاريين وهم قبائل

1- نعوم شقير، المصدر السابق، ص195.

2- محمد إبراهيم أبو سليم، **تاريخ الخرطوم**، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1979م، ص 15.

3- أمل عجيل، المرجع السابق، ص 71.

* بربر: اسم لإقليم من أقاليم السودان، يحده جنوبا الخرطوم عند موضع اسمه حجر العسل وهو جبل صغير، ومن الشمال مقاطعة دنقلة، ومن الشرق إقليم كسلا و محافظة سواكن، تسكنه قبائل البشارين والجعليين. أنظر: فوزي باشا إبراهيم، **السودان بين يدي غوردون وكتشنر**، ج1، طبع على نفقة مؤلفه، إدارة جريدة المؤيد، الخرطوم، السودان، 1319هـ، ص12.

** شندى: على نحو 104 أميال من الخرطوم وقد كانت مركز الجعليين وهي من أهم مراكز التجارة في السودان. أنظر: محمد مهري كركوكي، المصدرالسابق، ص314.

من أهل البادية مقدمين الطاعة له[1]، كما قام سلطان الفونج بادي السادس بتنازل عن سلطانه لخليفة المسلمين، وهكذا سيطر إسماعيل على القسم الأكبر من حوض النيل والنيل الأزرق[2].

وأثناء ذلك وصل الخبر إلى محمد علي باشا بفتح سنار، فأرسل ابنه إبراهيم باشا لمساعدة إسماعيل باشا على تنظيم البلاد، إلا أنه لم يواصل فعاد إلى مصر بسبب إصابته بمرض، أما إسماعيل باشا فقام بفتح فازوغلي في جانفي 1822م[3].

بعد هذه المراحل من الزحف التي قادها إسماعيل، قرر العودة إلى القاهرة وبعد وصوله إلى شندى وهو في طريقه إلى القاهرة، اجتمع بزعيمي الجعليين نمر ومساعده وطلب منهما المال والرقيق، فرد الملك بأن بلاده لا تملك هذه الإمكانيات، فقام إسماعيل باشا بالإساءة إلى الملك نمر و شعب الجعليين [4]، فانتقم منه حاكمها فقام بإحراق الخيمة التي كان يقيم فيها واحترق معها[5].

أما العملية العسكرية الثانية كانت بقيادة محمد بك خسروا الأستامبولي المشهور بالدفتر دار [6] لفتح مملكة الفور، فجهز جيشه لفتح كردفان ودارفور**، وكان فيها قائد يدعى المقدوم مسلم، فجمع جيشه لقتال الدفتردار ومن معه، فانهزموا في معركة بارة جنوب كردفان في 16 أفريل 1821م واستولى الدفتردار بذلك على كردفان، وبدأ في الأهبة للاستعداد لزحف على دارفور، ففاجأه نبأ مقتل إسماعيل في شندى فعدل عن متابعة الزحف واتجه نحو شندى[7]، وترقى الدفتر دار إلى منصب الحاكم العسكري على على كردفان وسنار بعد مقتل إسماعيل باشا، وعمل على إخضاع القبائل السودانية الثائرة، فتوجه إلى المتممة مقر الجعليين في 1823م، حيث أطلق جيشه النار على الجعليين ووصل عدد القتلى إلى أكثر من 30 ألفا ووقع كثيرون في الآسر، واستمرت المجازر في السودان إلى أن طلب محمد علي من الدفتردار أن يعود إلى مصر وقسم

1- نعوم شقير، المصدر السابق، ص195.

2- أمل عجيل، المرجع السابق، ص73.

3- نعوم شقير، المصدر السابق، ص203.

4- عامر زناتي، المرجع السابق، ص 28.

5- محمد بن إسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص 446.

6- محمد إبراهيم أبو سليم، المصدر السابق، ص 15.

** دارفور: اختلفت المراجع في تاريخ ظهورها وذهب بعضهم أنها ظهرت عام 1650م، وكانت هذه السلطنة تضاهي مملكة الفونج في العظمة. أنظر: أحمد بوعتروس، المرجع السابق، ص 371.

7- فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص 76.

محمد علي البلاد إلى ست مديريات هي دنقلة وبربر والخرطوم وسنار وكردفان ومديرية التاكا[1].

3_ ولاة السودان (حكمدار السودان):

تعتبر حكمدارية السودان الرئاسة العليا، والتي تختلف في السودان عن مصر، ومرت هذه الرئاسة بأكثر من طريقة منها:

أ_ أن يكون لوالي مصر أو خديوها حاكم عام يمثله في السودان، فيتولى جميع السلطات هناك ويكون همزة الوصل مع حكومته في مصر، وقد جرى العمل بهذه الطريقة معظم الوقت تقريبا.

ب_ طريقة الحكم المركزي الشديد، وفي هذه الحالة لم يكن للسودان حكومة قائمة بذاتها وإنما كانت هناك تبعية مباشرة للإدارات في مصر، وأصبحت أقاليم السودان عبارة عن مديريات أو محافظات مصر نفسها، وكان يجتمع في يد الحكمدار كل السلطة في السودان[2].

لقد تعاقب على حكم السودان بعد حملة محمد علي باشا العديد من الحكام، فكان أول حكمدار على السودان إسماعيل باشا بن محمد علي باشا من 13 جويلية 1821م إلى غاية 20 فيفري 1823م، فبعد الانتصارات التي حققها أصدر والده الأمر بأن يتولى حكم السودان بعد موافقة الدولة العثمانية، من أجل وضع أسس الإدارة وتنظيم البلاد، إلا أنه لقي حتفه قبل أن يتم مهامه على يد الملك نمر.

_ محمد بك الدفتردار من20 فيفري 1823 إلى غاية أكتوبر1824م قائد الحملة العسكرية الثانية، فبعد موت إسماعيل باشا أوكلت المهام إليه بعد صدور أمر محمد علي بتوليته، إلا أنه فشل في مهامه نتيجة الاضطرابات التي شاهدتها البلاد منذ مقتل إسماعيل باشا[3].

_ عثمان بك سنة 1825_1826م، اجتهد في تأمين الأهالي وأعانهم على حراثة أراضيهم، حتى يتسنى لهم الخلاص من مخالب القحط الذي كان فاشيا في السودان في ذلك الوقت، وشرع في تعمير مدينة الخرطوم، وجعلها عاصمة السودان المصري[4]، ولم تطل مدته فقد أصيب بمرض السل وتوفي.

_ محوبك سنة 1826م، كان رجلا عاقلا، فمنع تعدي الجنود على الأهالي، ودعا أعيان البلاد من أجل

1- أمل عجيل، المرجع السابق، ص 77.

2- عبد الصمد منصور عبد الفتاح، **العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي 1899_1942م**، الهيئ المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م، ص17.

3-جلول بوقروف، **الحكم المصري في السودان 1821_1885م**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة الجزائر2، 2010 _2011م، ص55.

4- فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص 64.

استشارتهم في أمور البلاد[1].

ـ خورشيد باشا من 1826 إلى 1839م، كان ذا دين وورع واستقامة شيد المساجد وأحسن إلى العلماء[2].

ـ أحمد باشا أبو ودان من 1839 إلى 1844م، فتح السودان الشرقي وأسس مدينة كسلا وحصنها وكان مشهورا بالشدة على المفسدين وفي أيامه أنشئت سبع مديريات في السودان (فازوغلي، سنار، الخرطوم، كسلا، بربر، دنقلة، كردفان)[3].

ـ أحمد باشا المنكلي سنة 1844_1845م، لم يمكث في الخرطوم إلا قليلا حتى عاد الأهالي إلى التمرد نظرا لسوء إدارة الموظفين وعدم كفاءتهم، فجرد جيشا كبيرا لقتالهم فأسر رؤوس العصاة وضرب رقابهم ثم عاد إلى مصر.

ـ خالد باشا سنة 1851م، ومن مآثره أنه جدد ديوان الحكمدارية في الخرطوم، وأنشأ مدرسة أميرية في الخرطوم برئاسة رفاعة بك الذي حضر من مصر[4].

ـ رستم باشا 1851_1852م، قام بتأسيس المجالس في البلاد السودانية للحكم بين الناس، ولم تدم مدة ولايته فقد أدركته المنية[5].

ـ إسماعيل باشا أبو جبل سنة 1852_1853م كانت مدته قصيرة[6].

ـ سليم باشا 1853_1854م ويقال أنه أكره على القبول هذا المنصب من قبل عباس الأول باشا لأسباب لا نعلمها[7].

ـ علي باشا سري 1854_1855م، أقام في الخرطوم ولم يخرج منها إلا إلى سنار، ثم عاد إلى مصر بعد مدة قصيرة، قيل وقد ملأ جيوبه من مال البلاد ولاسيما من جزيرة سنار، وفي يوليو1854م توفي عباس باشا وتولى بعده على مصر سعيد باشا بن محمد علي باشا.

ـ علي باشا شركس 1855_1857م، وفي أول مدة حكمه ذهب إلى السودان عبد الحليم باشا بن محمد علي فأقام في الخرطوم، وفي هذه الفترة انتشر الوباء فعاد إلى مصر، وبعد زوال الوباء ذهب سعيد باشا

1- نعوم شقير، المصدر السابق، ص 213.

2- فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص 65.

3- المصدر نفسه، ص 67.

4- نعوم شقير، المصر السابق، ص 222-224.

5- فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص 81.

6- نعوم شقير، المصدر السابق، ص 226.

7- فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص 81.

والي مصر إلى السودان لتفقد أحوله فقام ببعض الإصلاحات منها تخفيض الضرائب وبالتالي تميز عهده بالتخفيف الضرائب.

_ أراكيل بن 1857_1459م، تميز بحسن السياسة[1].

_ حسن بك سلامه 1859_1862م، تميز بقلة خبرته في سياسة البلاد.

_ محمد بك راسخ 1862_1563م، كان يحب الطرب والغناء ومن مآثره القصر المشهور باسمه في الخرطوم[2].

_ موسى باشا حمدي 1863_1865م حيث أصدر إسماعيل باشا بصفته قائم مقام عمه الذي كان مريضا أمر بتعينه ورغم ما عرف عنه من قسوة والجبروت، فقوبل تعينه برنة الفرح والسرور لكفاءت ه ومقدرته[3].

_ جعفر باشا مظهر 1866_1871م، عند قدومه إلى الخرطوم حدث غلاء حتى هاج الناس فأرسل بعض التجار بنقود من الخزينة إلى الجهات فأتوا بالغلال فرخصت.

_ ممتاز باشا 1871_1873م، الذي قام بإدخال زراعة القطن المصري.

_ إسماعيل باشا أيوب 1873_1877م، في عهده قسمت البلاد إلى مديريات وتم تعين مسؤلا عن كل مديرية، وأعظم ماتم في أيامه ضم سلطنة دارفور.

_ غوردون باشا 1877_1879م، حيث استدعاه إسماعيل باشا من بلاد الانجليز وفي تلك الفترة كانت لا تزال مديريات السودان مستقلة بعضها عن بعض، فطلب غوردون ضمها كلها تحت ولايته فكان له ذلك، وكان من أهم ما جاء في هذه الفترة منع تجارة الرقيق[4].

_ رؤوف باشا 1873_1882م، وكان رؤوف باشا أخر الولاة الذين حكموا السودان قبل الثورة المهدية، وفي عهده بدأت تظهر بوادر الثورة المهدية والتي عجز في القضاء عليها[5].

يمكن القول أنه خلال هذه الفترة من الحكم المصري العثماني أو الحكم المصري (وذلك لاعتبار أن الدولة العثمانية لم تستطيع أن تحافظ على تلك القوة التي كانت في البداية، لذلك يمكننا أن نطلق عليه

1- نعوم شقير، المصدر السابق، ص 227،228.

2- المصدر نفسه، ص 229.

3- مكي شبيكة، **السودان عبر قرون**، دار الثقافة، ، بيروت، لبنان، 1964م، ص 158.

4- نعوم شقير، المصدر السابق، ص245.

5- المصدر نفسه، ص 245-310.

الحكم المصري)، تعاقب على السودان عدة حكام (حكمدار)، تراوحت فترة حكمهم مابين أشهر إلى خمس سنوات ماعدا خورشيد باشا من 1826_1839م، هناك من توفي نتيجة المرض وهناك من عزل نظرا لعدم كفاءته، إلا أنه يمكن القول بأن بلاد السودان كانت في نظرهم فرصة للاستغلال.

ولهذا يمكن القول أن الحكم المصري لم يؤسس على أسس راسخة ولم يراعي شعور السودانيين فقد قام على مفهوم انتهازي يخدم مصلحة مصر بالدرجة الأولى حلى حساب خيرات السودان.

وبالتالي أصبح من الطبيعي أن يكون هناك ردة فعل بعد هذه السياسات، فلم يسكت أهل السودان على هذا الظلم فكانت مقاومتهم انطلاقا من تكوينهم القبلي المحلي، ورغم أن تلك المقاومة عرفت بتشتت إلا أنها شكلت خلفية نضالية، وبدأ ينشئ الشعور بالانتماء القومي الذي ساهم في دعم تلك المقاومة، التي مرت بمراحل مختلفة واتخذت عدة أشكال بدأت بمقاومة الشايقية وأهالي كردفان، حيث تصدوا لجيوش إسماعيل باشا وقاوموها مقاومة دموية باسلة، كما قاوموا السياسة الضريبية والإدارية الغير منصفة فتمثلت في انتفاضة عام 1822_1825م التي بدأت بمذبحة منطقة شندي، ثم انفجرت في مناطق الحلفايا والعليفون وغيرهم، وقامت السلطة الجديدة بقمعها قمعا دمويا عنيفا، كما قاومت قبائل الجنوب الحملات التي أرسلتها الحكومة لأسرهم، وواجهت الحكومة تمرد الجنود النظامين وأشهرها تمرد الجهادية السود في منطقة كسلا عام 1864_1865م، إضافة إلى المحاولات الفردية لبعض زعماء القبائل نذكر منها الملك حمد الشايقي.

ولهذا يمكن القول أن الحكم المصري وجد مقاومة حيث لا يكاد ينقضي عام دون أن يشهد مظهر من مظاهر الرفض، إلا أن الحكم المصري كان في كل مرة يتمكن من القضاء عليها، ذلك لأنها كانت مقاومات متفرقة غير موحدة، إلا أنه يمكن القول أنها شكلت الخلفية الأساسية التي ستنطلق منها الثورة المهدية[1].

1- محمد سعيد القدال، **الإمام المهدي محمد بن عبد الله 1844م _1885م**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992م، ص 17،18.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية.

بعد خضوع البلاد لإدارة واحدة منذ عام 1821م، أصبحت هذه الإدارة تستمد أنظمتها وقوانينها من مصر بما فيها الاقتصادية، والتي كانت تعتمد على التنمية من جهة واستغلال موارد البلاد من جهة أخرى، ويتضح ذلك جليا من خطاب محمد علي باشا على بعض المشايخ والزعماء السودانيون من خلال قوله «انه لا ينقصكم شيئ لكي تنجحوا فلديكم الأراضي الواسعة، كما عندكم الكثير من الماشية والغابات الشاسعة وشعبكم كثير العدد كما أن رجالكم أقوياء أشداء، ونسائكم كثيرات الولادة، وقد كنتم لغاية هذا الوقت بدون مرشد يقودكم ويأخذ بيدكم، ولكن هاهو قد جاءكم هذا المرشد، وهذا المرشد هو أنا فأطيعوني واعملوا بنصائحي وحسب إرشاداتي، وسوف أجلب لكم الرخاء...» (1).

وأهم هذه المجالات التي تجسدت فيها هذه السياسة نذكر:

1_ الزراعة والصناعة:

أ_ الزراعة: لقد بقي النظام الزراعي القديم في السودان قائما، وذلك بالاعتماد على المحاصيل الزراعية التقليدية، إلا أنه في ظل الحكم المصري تم إدخال بعض الإجراءات من خلال إمداد السودان بالخبراء والفنيين في مجال الزراعة والري، فقاموا بشق الترع وإقامة الجسور الجديدة(2)، ورغم ذلك فان محمد علي لم يتفرغ للسودان تماما، فترك عملية تنمية موارد السودان في معظم الأحيان تحت تصرف الحكمداريون، فكان الأمر مجرد جهود فردية تتعلق بحكمدار الذي يتم تعينه على السودان، وتميز عهد حكمدارية محوبك وخورشيد باشا وممتاز باشا بإدخالهم عددا من المحاصيل الزراعية الجديدة، ورغم ذلك فان ما استحدث لم يكن كافيا بدرجة تساعد على التأثير في اقتصاد السودان(3).

ب_الصناعة: حقيقة الأمر أن السودان لم يشهد تطورا في النشاط الصناعي، لأن الأمر كان يتطلب جهودا وإمكانيات خاصة، خلال هذه الفترة ظهرت مجموعة من المحاولات المتواضعة منها تسخير خبراء أجانب ومحليون في البحث عن المعادن وخاصة الذهب، إضافة إلى استمرار الصناعة البسيطة(4).

1- حمدنا الله مصطفى حسن، **التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان 1841_1881م**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1885م، ص 23.

2- محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 16.

3- عبد الصمد منصور عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 26.

4- حمدنا الله مصطفى حسن، المرجع السابق، ص26.

2_ التجارة:

أثناء السنوات الأولى لضم السودان، شهدت التجارة نشاطا ملموسا بالنسبة للأوضاع الأمنية، التي بدأت تنشر وتظهر في ربوع السودان، بعد أن كانت التجارة مهددة من جانب قطاع الطرق، فقام محمد علي باحتكار أهم السلع التي كان ينتجها كالصمغ والعاج والجلود، ثم بدأ الأوروبيون في الإلحاح وبشكل مكثف لتطبيق معاهدة تجارية مع الدولة العثمانية، ومن ثمة بدأت مرحلة جديدة في تطوير الاقتصاد السوداني في القرن التاسع عشر ميلادي أي الاقتصاد الموجه، وهذا النظام يعتمد على مبدأين الأول الاستقلال الاقتصادي، والثاني الاحتكار والتوجه في بعض السلع(1).

فبدأ تدفق التجار الأجانب إلى السودان بصورة واضحة، ولم يجدوا أدنى مقاومة من قبل عباس باشا الذي اشتهر بكرهه للأجانب في مصر، وتأكد مبدأ الحرية الاقتصادية في عهد محمد سعيد، الذي ترك للمزارعين حرية اختيار نوع المحاصيل التي يزرعونها سواء في مصر أو السودان وحرية بيعها ونقلها، وقام بإلغاء الجمارك الداخلية، وبدأت رؤوس الأموال والتجارة الدولية تدخل إلى السودان، فبدأت ظهور الرأسمالية الحديثة في السودان في شكل مشروعات مالية وتجارية وزراعية تمثلت في قيام بعض الشركات المساهمة، أو في شكل مشروعات فردية وقد استمرت هذه السياسة إلى غاية قيام الثورة المهدية(2).

3_ النظام الضريبي:

بعد حملة محمد علي باشا قام بوضع نظام الضرائب على الأهالي، فتم تسجيل القرى وعينت لها ضرائبها، وكانت الضرائب في السودان نوعين:

أ_ ضرائب على الجماعات المستقرة التي تعمل في الزراعة وغيرها من الحرف، واتخذ بالنسبة لهؤلاء وحدة اعتبرت مقياس لمقدرة الفرد المالية كالساقية أو الفدان أو الشجرة النخيل مثلا، وبقدر ما يمتلكه الفرد من هذه الوحدات تقدر الضرائب، وكان تعامل الحكومة في هذه الحالة مع الأفراد مباشرة.

ب_ ضرائب على الجماعات المرتحلة كالبدو، وهذه كانت تقوم على أساس الاتفاق على مبلغ من المال يقدر جملة واحدة على الجماعات من الناس، وكل شيخ قبيلة مسئول أمام الحكومة على الضرائب المقررة على قبيلته(3).

1- حمدنا الله مصطفى حسن، المرجع السابق، ص26،27.

2- المرجع نفسه، ص309،310.

3- عبد الصمد منصور عبد الفتاح، المرجع السابق، ص28.

وكان رجال الإدارة في السودان يقومون بجمع الضرائب من الأهالي، وزاد من سوء الحال في السودان أن جامعي الضرائب سواء الباشيوزق (الجند الغير نظامين)، أو رؤساء القبائل و الزعماء والشيوخ قد استغلوا مناصبهم أسوأ استغلال، فاستخدموا الضرائب وسيلة للانتقام من أعدائهم من ناحية وسبيلا إلى الثراء وتحقيق المأرب الشخصية من ناحية أخرى، ولذلك لم يحس الأهالي بأي أثر لقرار سعيد باشا الذي أحدث بعض التغيرات الإدارية، فلم يتمكن من التخفيف من أعباء الضرائب عن كاهل الأهالي، بل زاد هذا الاستغلال من طرف جامعي الضرائب بفقدان الحكومة جزءا من مستحقاتها، وأدى ذلك الحاجة إلى الأموال، فنشط حكمدار السودان في جمع الضرائب وخصوصا موسى باشا الذي ضرب به المثل في جمعه الضرائب، خاصة بالنسبة لبعض القبائل القوية مثل بني عامر والهدندوة، وكان ذلك رغبة في كسر شوكتهم وكانت هذه إحدى وسائله العديدة العنيفة لذلك[1].

يمكن القول من خلال ما سبق أن السياسة الاقتصادية الجديدة لم تكن حكيمة ولم تكن تجاري ظروف وطباع أهالي السودان، فقد فرضت نمطا غريبا عنهم لم يتماشى مع طبيعة سكان السودان، فكانت لها سلبيات تمثلت في النظام الضريبي القاسي الذي أثقل كاهل الشعب السوداني، إضافة إلى نهب موارد السودان بأقل تكلفة، هذا ما يؤكد الهدف من وراء حملة محمد علي وهو إنعاش الاقتصاد المصري، وقد كانت النتيجة الطبيعية لذلك كله هو ذيوع التذمر والاستياء بين السكان، الذي أدى إلى بروز التناقضات، فأدت إلي انفجار تلك الثورة التي عملت على القضاء على النظام الاقتصادي المطبق والمجيء بنظام اقتصادي يكون أكثر عدلا، مرتكزا على الشريعة الإسلامية.

1- عبد الصمد منصور عبد الفتاح، المرجع السابق، ص28،29.

المبحث الثالث: الأوضاع الدينية.

إن البحث في الحركات الثورية التي عمت الشرق في القرن التاسع عشر ميلاد ي، يلاحظ بوضوح مدى ارتباطها بالتيار الديني والإسلامي على وجه الخصوص، وعلى هذا الأساس أخذت تتشكل اليقظة الدينية بين جموع السكان والتي لبست رداء الطرق الصوفية، ويمكن أن نميز في العالم العربي خلال هذه الفترة بين نوعين من التيارات الدينية كلاهما كان يدعو للإصلاح، الأول بدأ في مقاومة البدع الدينية التي أدخلت على المجتمع السوداني بالسلم تارة، وبالصدام المسلح تارة أخرى، أما التيار الثاني فقد أخذ شكلا صوفيا هادئا، ومن العوامل التي ساعدت على انتشار الطرق أنها كانت تلقى رواجا في البلدان المجاورة، كما أظهر بعض المشايخ الكثير من الصفات الطيبة مما جعل الناس يلجئون إليهم وبمرور الوقت ازداد مريدوها، وقد ذهب البعض للتعبير عن شدة ولاء السودانيين لهذه الطرق إلى قوله «بأن للسودانيين ولاء أقوى من العاطفة القبلية وهو الولاء للإسلام، والذي انبثقت من تعاليمه الطرق الصوفية» .

وباختصار فان الطرق الصوفية هي نظام يجمع عدد كبير من الناس في سلك واحد، ولهذا السلك رئيس يسمى شيخ الطريقة فهو القائد والمرشد لأتباعه[1]، ومن أهم الطرق الصوفية التي ظهرت في السودان نذكر:

1_ الطريقة الشاذلية والقادرية:

أ_الطريقة الشاذلية: تعتبر أول طريقة صوفية عرفها السودان التي تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي[2]، وقد دخلت البلاد في وقت مبكر قبل قيام مملكة الفونج، ولكن على الأرجح أنها دخلت بعد ذلك على يد عبد الله الشريف الفاسي تلميذ أحمد بن الناصر الشاذلي، إلا أنها تفتت إلى عدة فروع، ووجدت منافسة من قبل الطريقة الختمية فلم يكونوا قادرين بمفردهم على احتواء حركة المجتمع السوداني[3].

ب_الطريقة القادرية: تعتبر من أكبر الطرق انتشارا في العالم الإسلامي، وقامت على يد عبد القادر الجيلاني في القرن الثاني عشر ميلادي، ثم دخلت إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر ميلادي وفي حوالي عام 1545م، قدم شخص إلى السودان يدعى تاج الدين البهارى وأدخل القادرية في ربوعه، وقد التقى هذا الرجل بأربعة رجال التفوا حوله وهم محمد الأمين ابن عبد الصادق جد الصادقاب، والتقى الضرير جد اليعقوبان وكان يكنى بأبي يعقوب والشيخ عجيب المانجلك جد العبدلاب، وعبد الله دفع الله

1- حمدنا الله مصطفى حسن، المرجع السابق، ص424-428.

2- محمود شاكر، المرجع السابق، ص16،17.

3- محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص29.

العركى جد العركيين، وهؤلاء الأربعة كانت لهم مكانة خاصة في السودان، اتسم نشاط القادرية في الدعوة الإسلامية بالطابع السلمي الذي كان يعتمد على الإرشاد والقدوة الحسنة[1].

2_ الطريقة السمانية:

أنشأها عبد الكريم السماني وهي فرع من فروع الخلوتية[2]، والتي يرجع تاريخها إلى بضعة مئات من السنين عقب ظهور القادرية، ومؤسسها يدعى محمد الخلوتي وكان تاريخ دخولها إلى السودان على يد السيد أحمد الطيب ولد البشير[3]، الذي استقر به البقاء قرب أم درمان وكان له نفوذ بالغ الأثر على ملك سنار، وتمكن خلال حياته من جذب كثير من الأتباع للطريقة السمانية[4]،فلنتشرت انتشارا سريعا وصار من مريدها جماعات تنتمي إلى الطريقة القادرية، ولم يمضي وقت طويل حتى صار للسمانية شأن كبير، ولما توفي أحمد الطيب انقسم السمانية إلى ثلاثة فروع، فرع تابع للشيخ القرشي ود الزين، وفرع ثاني تابع للشيخ البصير، وفرع ثالث تابع للشيخ محمد نور الدايم.

3_ الطريقة الختمية:

في أواخر سلطنة الفونج دخلت الطريقة الختمية على يد محمد عثمان الميرغني الكبير [5]، الذي يعتبر من علماء مكة عام 1815_1819م، والذي جاء إلى السودان وتزوج محمد عثمان في بارا وأنجب ابنه السيد الحسن، وعندما أصبح ابنه الحسن شابا سودنة على يده الطريقة الختمية، كما وضع لها أسسها ونظمها، ووجدت الطريقة استجابة رائعة بين الفئة التجارية في المدن لسهولة إجراءاتها وتنظيمها المركزي كما احتضنتها قبائل الشرق الذين أمنوا بالإسلام على يدها وقد ساعدت شخصية الحسن الجذابة في توسيع نفوذها[6]، وعقب وفاة محمد الحسن في1869م خلفه ابنه في الرئاسة، إلا أن ارتباطها بالحكم التركي حد من نفوذها[7].

1- حمدنا الله مصطفى حسن، المرجع السابق، ص428،429.

2- محمد إبراهيم أبو سليم، **بحوث في تاريخ السودان(الأراضي، العلماء، الخلافة، بربر علي الميزغني)**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992م، ص106.

3- حمدنا الله مصطفى حسن، المرجع السابق، ص429،430.

4- محمد عمر بشير، المصدر السابق، ص14.

5- محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص30.

6- حمدنا الله مصطفى حسن، المرجع السابق، ص438.

7- محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص30.

تعتبر الطرق الصوفية المذكورة من أهم الطرق وذلك بسبب تأثيراتها إضافة إلى طرق أخرى، إلا أن تأثيراتها كانت بصفة محدودة نذكر منها الطريقة المجذوبية وهذه الطريقة مأخوذة من الطريقة الشاذلية والطريقة السنوسية، والطريقة الإسماعلية وغيرها من الطرق[1].

وفي فترة الحكم المصري أنكر هذا الحكم الجديد على الطرق الصوفية الاستقلال النسبي الذي كانت تتمتع به في السابق، حيث أنشئت إدارة المحاكم الشرعية مقسمة إلى محكمة عليا ومحاكم مديريات ومحاكم محافظات، وأنشاءت مجلس استئناف السودان الذي يتألف من عدة قضايا، ليصبح العلماء جزءا من النظام مبتعدين عن الحياة العادية واليومية للناس كما كانوا يفعلون[2].

كخلاصة لما سبق يمكن القول أن السودان منذ حملة محمد علي باشا 1821م أدى إلى ظهور الكينونة السياسية الموحدة ما أصبح يعرف اليوم بالسودان، وبدأ تطبيق الحكم الجديد في هذه البلاد الواسعة وفرض عليها نظاما إداريا مركزيا واحدا تابعا لمصر، يتولى الحكم فيه ولاة يعينون من قبل الحكومة المصرية، ولم يكن هؤلاء الولاة في الأغلب في مستوى المسؤولية هذا ما أدى إلى انتشار الفوضى والفساد نتيجة الابتعاد عن المسار الصحيح لشريعة، وكان ذلك بسبب تدهور أمور البلاد بعد استغلال الثروات الباطنية كالذهب، والبشرية كاستغلال الرجال السود واستخدامهم كأداة لتحقيق مآربهم، وفي ظل هذه الأوضاع كان سكان السودان جد ناقمين على الوضع الذي ألت إليه بلادهم بعد أن كانوا هم أصحاب السلطة والكلمة، وفي ليلة وضحاها أصبحوا تابعين للحكومة وأشخاص غربيين عنهم، لاسيما بعد أن خضعت مصر لسلطة الاحتلال الأجنبي الإنجليزي، ويعود ذلك لأنها اهتمت بالانفصال عن الدولة العثمانية رغبة في تحقيق الاستقلال الذاتي، إلا أنها من جهة أخرى أهملت الجانب الأكثر خطورة، وهو مساهمة العائلة الخديوية في فتح أبواب البلاد على مصراعيه أمام التدخل والتوغل الأجنبي.

فبدأت الانتفاضات المشتتة المعبرة عن السخط الرافض للحكم الجديد إلى أن لاحت بوادر الثورة بقيادة محمد أحمد المهدي، التي استطاعت أن تلم تحت رايتها ذلك الشتات فانفجرت الثورة المهدية، فما هي الأسباب التي أدت إلى اندلاع هذه الثورة؟ ولماذا في هذا الوقت بالتحديد؟ ومن هذه الشخصية التي تمكنت من توحيد جموع السودانيين تحت راية واحدة؟

1- حمدنا الله مصطفى حسن، المرجع السابق، ص438.

2- عبد الله علي إبراهيم، **الصراع بين المهدي والعلماء**، تقديم مكي شبيكة، دار نوبا للطباعة، الخرطوم، السودان، 1994م، ص13،14.

الفصل الثاني

الثورة المهدية في مرحلتها الأولى من 1881م إلى 1885م

(بقيادة محمد أحمد المهدي)

المبحث الأول: أسباب الثورة المهدية

1_الدافع الديني والاجتماعي

2_الدافع السياسي

3_الدافع الاقتصادي

المبحث الثاني: حياة محمد أحمد المهدي

1_ مولده و نشأته

2_ حياته في التصوف

3_ دعوته:

أ_ السرية

ب_الجهرية

المبحث الثالث: وقائع ثورة المهدي و وفاته

1_ مرحلة الدفاع والتمكين

2_ مرحلة الهجوم

3_ وفاته

المبحث الأول: أسباب الثورة المهدية.

لم يكن اندلاع الثورة المهدية حدثا جديدا أو معزولا عن كفاح أهل السودان، والتاريخ يسجل ماضيهم النضالي ضد الحكم الجديد، منذ أن وطأت أقدامهم أرض السودان تمثلت في العديد من الانتفاضات، وكانت الثورة المهدية الأكثر نضجا والأعمق جذورا، فماهي الأسباب التي أدت إلى اندلاعها؟

لقد اختلفت أسباب الثورة المهدية لدى المؤرخين، منهم من يردها إلى تلك الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك ومنهم من يردها إلى العامل الديني وشخصية محمد أحمد، والبعض يردها إلى سياسة منع تجارة الرقيق، ويمكن أن نصوغ هذه الأسباب على النحو الآتي:

1_الدافع الديني والاجتماعي:

_ عقيدة المهدي، لا شك أن حركة المهدي السوداني كانت حركة دينية في أساسها الفكري وغاياتها ووسائلها، ولا شك أيضا أن تصديق بفكرة أنه المهدي المنتظر * الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، أضفى على زعامته نوعا من القداسة وجعل الناس يتسابقون إلى لقائه والدخول في طاعته [1]، فقد سمع السودانيون المسلمون كغيرهم من المسلمين وخاصة من لهم الاطلاع بفكرة المهدي المنتظر، ووفدت إليهم هذه الفكرة من مصدرين، أولهما مصدر عام وهو الاطلاع على المصادر الإسلامية التي تكلمت عن المهدي المنتظر، كما لعبت الطرق الصوفية دورها في تهيأت أذهان الناس لاستقبال ذلك البطل، والاتصال بالمسلمين عن طريق الحج والتجارة، أما المصدر الثاني هو أثر حركة الجهاد الفلاني التي قام بها الشيخ عثمان دان فوديو**، ثم واصلها أخوه عبد الله وابنه محمد بيلو وغيرهما، وقد بشرت هذه الحركة بقرب

---

* المهدي المنتظر: إن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر العصور، أنه لابد في أخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية يسمى المهدي، ويكون خروج الدجال، وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله. أنظر: عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004م، ص326.

1– محمد بن إسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص461.

** عثمان دان فوديو: هو عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد بن رجب ابن فودي وكلمة فودي تعني الفقيه، وكانت عائلته قد توارثت العلم والثقافة منذ مدة قبل مولده، وهذا ما أتاح له أن يتعلم على يد والده مبادئ علوم العربية وأصول الفقه وحفظ القرآن الكريم، قام بحركة وأعمال واسعة لاضطهاد المسلمين في إمارته، وهذا ما دفع به لإعلان حركته الجهادية في عام1802م، وتلقب بأمير المؤمنين. أنظر: عبد القادر زبادية، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص78–81.

ظهور المهدي، وكتب أصحابها مؤلفات كثيرة في موضوعه، وقد ذكر محمد بيلو في «إنفاق اليسر» بأن بأن والده عثمان قد أخبره عن قرب ظهور المهدي[1].

وقد وجدت هذه الفكرة رواجا في السودان في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي 19م، وأن الكثيرين قد باتوا ينتظرون ظهور المهدي، وكان من الأسباب الداعية إلى ذلك الظلم الذي حاق بالناس وتخبط الإدارة المصرية في الأخطاء، وتوافق ذلك مع قرب كمال القرن الهجري الثالث الهجري، فهيأ لفكرة إمام القرن الذي قيل أنه يظهر في آخر كل قرن هجري[2].

وبالتالي أصبح الشعب السوداني يتطلع لقدوم المهدي المنتظر الذي سوف يخلصهم من المظالم، فقد نتساءل كيف صدق الأهالي هده الفكرة، فنقول أن إيمان السودانيون في تلك الفترة في الصوفي أعمق من إيمانهم بالفقيه، فقد كان المناخ الديني يطغى عليه التصوف مع مزيج ضئيل من علوم الشريعة، فلم يكن هناك شخص لا ينتمي إلى طريقة صوفية[3].

_ كما أضعف الحكم المصري المؤسسة القبلية، فقد أخضعها دون تحفظ للسلطة المركزية، مما يتنافى مع طبيعتها كمؤسسة تعبر عن واقع المجتمع الرعوي القبلي متمتعة باستقلال نسبي، كما أن زعماء القبائل الذين فاتهم إدراك ذلك التحول الجديد لم يجدوا أنفسهم خارج السلطة القبلية فحسب، بل وجدوا أنفسهم يعيشون على هامش الحياة الاجتماعية، وهام بعضهم يتسول في طرقات المدن باحثا عن قوت يومه [4]، وبالتالي فقدان أهل السودان للحرية التي كانوا يعيشونها في كنف قبيلتهم.

_ كما لم يكن السلوك الخاص ببعض الحكام يرضي العامة، حيث أنهم كانوا لا يتقيدون بالتعاليم الإسلامية فكانوا يشربون الخمر ويرتادون الأماكن المشبوهة، وأصبح الحكام الذين يعرفون بالترك في عداد الكفار بالنسبة لأهل السودان فأصبحت كلمة الكفر والترك مترادفتين في المعنى، كما استعان الحكام ببعض القبائل الكبيرة والطوائف الدينية مما جعل القبائل الأخرى تسخط على الحكم التركي المصري، حيث أن القبائل التي تعمل بالتحالف مع الحكومة استغلت نفوذها في التضييق على القبائل المنافسة لها[5]

1- محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة الفكرية في المهدية**، ط2، دار الطباعة، الخرطوم، السودان، 1970م، ص04.

2- المصدر نفسه، ص05.

3-محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص29.

4- المرجع نفسه، ص20.

5- محمد مالك محجوب، **المقاومة الداخلية لحركة المهدية 1881_1898م**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1987م، ص34-35.

2_الدافع السياسي:

_ العنف، إن السياسة التي اتخذها إسماعيل باشا للتنكيل بالملك نمر عادت عليه وعلى أصحابه، حيث آلت إلى خروج الملك نمر عن طاعة الحكومة فلجأ إلى الحبشة واجتمع عليه كل متشرد وعاص وناقم على الحكم المصري، فكان شرا عظيما للحكومة هو وأولاده من بعده نحو خمسين سنة، ولما ظهر المهدي كانت بقية أولاده في بلاد القضارف فكانوا هم أول من ناصروه ورفعوا رايته في منطقة السودان الشرقي، ثم إن الدفتردار الذي جاء من كردفان للاقتصاص من الجانين في قتل إسماعيل باشا لم يقف عند حده، بل عم غضبه المجرم والبريء فنكل بقبائل الجعليين تنكيلا لم يروه ولم يسمعوا به من قبل، ولاسيما في منطقة شندي والمتمة والعيلفون، وقد ورث هذا الحقد من بعدهم أبنائهم إلى غاية ظهور المهدي فقاموا معه يطالبون بالثأر، وقال الكثيرين ممن ثاروا على الحكومة إنما فعلنا ذلك لأسباب شتى أولها الأخذ بثأر أبائنا من فظائع الدفتردار[1].

_ أيضا تدخل الأوربيون في شئون الحكم وتوليتهم المناصب الهامة، فلم يكونوا صادقي النية وكانوا يثيرون بأعمالهم روح الحقد والكراهية[2].

_ المحاباة، من الأمور التي زادت الأهالي الحقد على الحكومة هو التميز وعدم المساواة بين القبائل والطوائف، فقد ميزت الحكومة بين قبائل الشايقية وجندتهم عساكر وأعفتهم من الضرائب، ومما زاد من استياء الأهالي أيضا وعلى الخصوص رؤساء الطرق الصوفية تميز الختمية، فقد قربتها الحكومة إليها على سائر الطرق الصوفية الأخرى، حتى كثر أتباعهم وعظم شأنهم وجاههم فأخذوا يتطاولون على رؤساء الطرق الصوفية الأخرى بالشتم والسب والإهانة، فحقدوا عليهم وعلى الحكومة التي كانت السبب في تعظيم شأنهم[3].

_الثورة العرابية* ، لقد لعبت حركة أحمد عرابي في مصر دورا بارزا في الثورة المهدية فهي التي أعطت المهدي السوداني الإشارة ، وفتحت أمامه الطريق إلى الثورة، وناشدت السودانيين من أجل تحطيم

1– نعوم شقير، المصدر السابق، ص316.

2– محمد بن إسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص469.

3– نعوم شقير، المصدر السابق، ص318.

* الثورة العرابية : ثورة نشبت في مصر قادها الزعيم الثائر أحمد عرابي وهو أحد ضباط الجيش المصري الذين تمردوا على سلطة الخديوي توفيق، انطلقت هذه الثورة في 1881م مما جعلها مواتية للثورة المهدية في السودان وصعب القضاء عليها. أنظر: عبد الرحمان الرافعي، **الزعيم الثائر أحمد عرابي** ، ط3، دار مطابع الشعب، القاهرة، مصر، 1968م، ص5–37.

قيود الذل والعبودية والدليل على ذلك : أن الثورة المهدية قامت بعد أشهر قليلة من الثورة العرابية، وأن الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة العرابية هي نفس الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة المهدية إلى حد بعيد، كما أن نظام الحكم الذي ثار عليه الشعب المصري هو نفسه نظام الحكم الذي ثار عليه الشعب السوداني، وأن الفتوى التي أصدرها علماء الأزهر بمروق الخديوي عن الدين الإسلامي بسبب خيانته وانحيازه إلى بريطانيا، قدمت إلى المهدية أكبر حجة لتسوغ ثورته ضد ممثلين هذا الحكم ونوابه في القطر السوداني، وأن الجيش المصري الذي كان مفروضا أن يقضي على حركة المهدي كان مشغولا في القاهرة بحربه ضد الانجليز والخديوي، فلما أخفقت الثورة العرابية وسيطر الانجليز على مقاليد الحكم في القاهرة، أرسل الخديوي فرقا من الجيش بقيادة الانجليز لإخماد حركة المهدية، فكان الضباط والجنود المصريون يفرون بأسلحتهم وعتادهم إلى صفوف المهدي، وكانوا يقولون أنهم أرسلونا إلى السودان إلا لقتلنا بسبب أننا من جنود عرابي، ولهذا أصبح الميدان خاليا أمام المهدي[1].

3_ الدافع الاقتصادي:

_ احتكار الحكومة تجارة العاج وهو من أهم مصادر الثروة في السودان، وقد وقع هذا الاحتكار خاصة في عهد غوردون باشا، حيث استأثرت الحكومة بالأرباح الطائلة التي كانت تثمرها هذه التجارة، فنقموا على الحكومة وسخطوا عليها، وهذا ما أدى بهم إلى الانضمام إلى الثورة بعد نشوبها[2].

_ إلغاء الرق، كانت التجارة بالرقيق في يد الأقوياء، وكان الملوك والأعيان وأرباب الأمر و رؤساء العشائر يستخدمون الأرقاء في منازلهم وكجند لهم، فكان حرمان التجار من مكاسبهم أدى إلى الغضب والانتفاض على الذين منعوا بيع الرقيق، وعدا هذا المنع ظلما لأنهم شعروا بأنهم فقدوا ركنا أساسيا في بناء حياتهم ومصدرا هاما للثروة وأساسا للاقتصاد السوداني [3]، لكن الحكومة أصرت على منعها بالقوة ولاسيما في عهد السر صموئيل بكر وفي عهد الكولونيل غوردون، فقاما بالتضييق على تجار الرقيق في جميع الأقطار السودانية ولاسيما في بحر الغزال وخط الاستواء فنكلا بهم تنكيلا شديدا وفرقا جموعهم وعاقبا البعض بالقتل والبعض بالسجن...[4].

_ إضافة إلى فداحة الضرائب والطريقة التي كانت تصحب جمعها، مما اضطر الأهالي للهجرة لأطراف

1- محمد بن إسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص464.

2- المصدر نفسه، ص464،465.

3- رأفت الشيخ الغنيمي، **مصر والسودان في العلاقات الدولية**، دار الكتب، القاهرة، مصر، ب.س، ص147.

4- نعوم شقير، المصدر السابق، ص317.

البلاد في السنوات الأخيرة من الحكم التركي المصري، فازداد سخط السودانيون بسبب جباية الضرائب ففي عام 1879م كتب رؤوف باشا إلى القاهرة يطلب منهم تخفيف الضرائب إلا أن طلبه قوبل بالرفض من جانب

سلطات مصر[1]، فلم يكن أهالي السودان متعودين عليها فاستثقلوها وزادها ثقلا كونها لم تكن موزعة بالقسط بل كانت شديدة على الفقراء خفيفة على الأغنياء، وذلك لأن في مقدرتهم رشوة المأمورين، إضافة إلى قربهم من الحكام حتى كان جانب كبير من أملاك الأغنياء معفيا من الضرائب[2].

من خلال ما سبق يتضح الوضع الذي عاشه السودان وما كان يعانيه من آلام ومآسي، وبالتال ي يمكن اعتبار عام 1881م لم يكن مجرد صدفة فقد بلغ التذمر أشده، وشمل جميع أنحاء السودان هذا ما جعلهم يترقبون أي طيف أو دعوة تساعدهم في تغيير أوضاعهم وتحررهم من قبضة الحكم الجديد، وفي ظل هذه الظروف ظهر محمد أحمد المهدي، وهو شاب من أبناء السودان تميز بالروح الوطنية، فقد لاحظ وترعرع في ذلك الجو المشحون بالاستغلال واستنزاف خيرات البلاد، فبمجرد أن سمع أهل السودان بدعوته سارعوا إلى الانضمام والانخراط في حركته، فمن هذا المصلح؟ بماذا تميز عن غيره جعلته ينال هذه المكانة في قلوب السودانيين؟ إلى أي مدى استطاعت حركة المهدي الاستفادة من هذه الأسباب؟ وما هي مجريات الأحداث خلال هذه الفترة؟

1- محمد مالك محجوب، المرجع السابق، ص34.

2- نعوم شقير، المصدر السابق، ص316.

المبحث الثاني: حياة محمد أحمد المهدي.

إن الحديث عن ثورة كالثورة المهدية يتطلب منا أولا معرفة الشخصية التي قادت هذه الثورة، ومعرفة الظروف التي عاش في كنفها، والتي كان زعيمها وحامل لوائها محمد أحمد المهدي (أنظر الصورة رقم01).

1_ مولده و نشأته:

في جزيرة لبب إحدى جزر النيل الواقعة بالقرب من مدينة دنقلة [1]، ولد محمد أحمد بن عبد الله في 12 أوت 1844م، الموافق ل27 رجب 1260هـ[2]، ويذكر إبراهيم فوزي باشا أن محمد أحمد المتمهدي ويقصد به المهدي أنه ولد في جزيرة الخناق المعروفة بلبب الواقعة جنوب مدينة العرض وهي قاعدة إقليم دنقلة من أبوين دنقلاوين أي بربرين من قبيلة كانت تدعى الخناقية[3]، ويذكر نعوم شقير بأن قبيلة محمد أحمد هي العرب المتنوبة، وقد عرفت في دنقلة بصبر وعرفت أيضا بالأشراف[4]، تتكون الأسرة من أربع أبناء هم محمدا ومحمد أحمد وحامدا وأخت تدعى أمنة واسم أمه جاره وكان أبوه يدعى عبد الله بن فحل [5]، وكان والده يعمل في صناعة المراكب الشراعية[6]، وفيما يلي سلسلة النسب التي كان ينادي بها لنفسه «محمد أحمد المهدي بن عبد الله بن فحل بن عبد الولي بن محمد بن حاج شريف بن علي بن أحمد بن علي بن حسب النبي بن صبر بن نصر بن عبد الكريم بن حسين بن عون الله بن نجم الدين بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكري بن علوان بن عبد الباقي بن صخرة بن يعقوب بن الحسن السبط بن الإمام علي بن علي بن أبي طالب »[7]، وهذا النسب الشريف كان معروفا عن الأسرة قبل أن يظهر محمد أحمد ويعلن مهديته ويجعل انتسابه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إحدى علاماته، وتقول به بعض العائلات كالسادة المراغنة يقولون بانتمائهم الشريف، وعليه فليس من الغريب أن تعلنه أسرة

1- فيصل محمد مرسي، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** ، ط2، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، ليبيا، 1997م، ص29.

2- محمد بن إسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص453.

3- فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص70.

4- نعوم شقير، المصدر السابق، ص322.

5- فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص70.

6- سمر نوف سيرجي، **دولة المهدية من وجهة نظر مؤرخ سوفييتي** ، ترجمة هنري رياض، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1994م، ص29.

7- نعوم شقير، المصدر السابق، ص322.

محمد أحمد، وبعد الإعلان عن المهدية أصبح لهذا الانتساب أكثر عناية وتأكيدا، وظهرت شجرة النسب التي تحمل الأسرة إلى فاطمة الزهراء[1].

وفي سنة ميلاده أجدبت بلادهم نتيجة انخفاض منسوب النيل، فهاجرا أبواه وهو رضيع يبلغ من العمر ثلاثة أشهر، فاستوطنوا قرية تسمى كرري شمال أم درمان، ولم يحل العام حتى توفي أبواه فكفله أخواه وربياه أحسن تربية[2]، ولما بلغ السابعة من العمر كان أخويه يصطحبانه ليعلماه صناعة المراكب، وفي إحدى الأيام رأى محمد غلمانا متوجهين إلى الكتاتيب وبأيديهم الألواح فأراد أن يكون منهم، ففر من أخويه ولحق بكتاب في شرقي النيل بقرية محاذية لقرية كرري، وصاحب هذا الكتاب يسمى الفكى الهاشمي وكان مشهورا بتعليم القران بدون أجر، ولما علما إخوته بذلك أخرجاه من الكتاب وقام بتحذيره إلا أنه لم يكترث لأمرهم وعاد إلى الكتاب بعد أن اشترطا عليه العودة لتعلم صناعة المراكب والاشتغال بها، ويذكر الذين كتبوا سيرته أنه لم يشتغل بصناعة المراكب زمنا بل صنع مركبا واحدا وكان صغير الحجم وتصدق به على أرملة[3].

ثم انتقل بعد ذلك إلى خلوة الشيخ محمود الشنقيطي، ثم إلى خلوة الشيخ الأمين صويلح، ثم إلى خلوة الشيخ محمد الخير فطاب له المقام والاعتكاف على الدروس والتحصيل، وأظهر في هذه الفترة إخلاصا شديدا للدين واشتهرا بالزهد والورع والتقوى والولاء الخالص للأستاذ [4]، كما كان لا يأكل الطعام الذي كان يقدمه الشيخ لطلابه، لاعتقاده بأن ذلك الطعام كان يصنع من الذرة الذي تقدمه الحكومة للمشايخ، وكان من رأيه أن مال الميري حرام لأنه كان يؤخذ عنوة من المواطنين وبوجه غير شرعي[5].

كان يعتمد على نفسه بالخروج إلى الغابة لقطع الأخشاب، وبيعها في السوق ويأكل بعض ثمن ه ويتصدق بالباقي على الفقراء، فإذا تعذر عليه ذلك خرج إلى النيل للاصطياد وكان لا يضع طعما في صنارته حتى لا يخدع السمك لأن السمك من مخلوقات الله، وإذا كان الله قدر له رزقه فليكن بطريق أخر غير التحايل والخداع[6].

1- محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص37،38.

2- محمد الطيب عبد الرحيم الفلاتي ، **الفلاتة وشمال السودان (الفلاتة، الهوسا، البرنو، الأنصار، الفلاتة وشمال السودان)**، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994م، ص74.

3- فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص70،71.

4- محمد بن إسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص453.

5-محمد مالك محجوب، المرجع السابق، ص51.

6- محمد بن إسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص449.

في هذه الفترة تم زواجه فغادر بربر حوالي 1864_1865م، فهناك روايات تقول أنه قبل الزواج بعد إلحاح إخوته عليه، وما كان له إلا أن يرضخ لهم فذهب إلى الخرطوم وتزوج من ابنة عمه فاطمة بنت الحاج، وفي حفل زواجه كان له موقف عندما اجتمع الرجال والنساء ليرقصوا مختلطين فمنعهم، وما كان لهذا الزواج أن يستمر طويلا، ففي إحدى الليالي كان منهمكا في قراءة القرآن فدخلت عليه فاطمة فاختطفت الكتاب منه وحثته للبحث عن عمل فطلقها[1].

ووصفه إسماعيل عبد القادر الكردفاني: « أنه كان سهل الخلق لين الجانب ولا غليظ، يتفقد أصحابه ويسأل عنهم، أوسع الناس صبرا و أصدقهم لهجة وأكرمهم عشرة يصفو ويصفح متخلقا بالقران المجيد، عرف بالتواضع، أكبر الناس شفقة على خلق الله يأكل مع الخادم ويحمل حوائجه بنفسه من السوق» [2].

كانت هذه المرحلة الأولى من حياة محمد أحمد المهدي، وهي مرحلة التكوين العلمي والاكتساب المعرفي، وصولا إلى المرحلة الثانية من حياته وهي الانخراط في حياة التصوف والتي ستميزه عن غيره، لتصبح فيما بعد الانطلاقة لدعوته.

2_ حياته في التصوف:

لقد كان لنشأة محمد أحمد الخاصة من جهة، وسلوكاته مع شيخه محمد الخير من جهة أخرى، قد ساعدته في تحقيق الاحترام والشهرة في أوساط المجتمع في منطقته، فدفعه خياله المبدع بأن الحقيقة الكاملة لا تنقلها الكتب فحسب بل لا بد من التصوف، والانخراط في إحدى الطرق، لاسيما أن المجتمع في ذلك الوقت كان زاخرا بالطرق الصوفية المختلفة.

أ_ مع شيخه نور الدايم: الشيخ محمد شريف نور الدايم أشهر زعيم صوفي بين بربر والخرطوم، وهو حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية، في السودان والشهير برجل أم مرح [3]، دخل محمد أحمد في عداد المريدين وهنا وجد متسعا من الوقت للعبادة والتأمل، وإذا ما تفقد الشيخ تلاميذه ومريديه بالليل لم يجد محمد أحمد كغيره نائما بل يجده في يقظة ويتعبد ويتهجد فلفت نظره ذلك الشاب [4]، الشاب[4]، قضى محمد أحمد العديد من السنوات على هذا المسلك فمال إليه محمد شريف وجعله شيخا

1- محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص51،52.

2- بانقا السنى، **أضواء على النظام القبلي والإدارة في السودان**، مطبعة الحكومة ، الخرطوم، السودان، 1960م، ص20.

3- محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص52.

4- مكي شبيكة، المصدر السابق، ص252.

وأعطاه راية وأذن له في التجول حيث شاء لنشر الطريقة، كما اعتبره بمثابة المعلم الديني في حال غيابه[1].

إلا أن هذه المكانة التي احتلها عند شيخه سرعان ما زالت بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين شيخه ويعود ذلك حسب الروايات أن شيخه أسرف في إقامة الملاهي المختلفة م ن رقص وغناء وزغاريد في مناسبة ختان أولاده، وهذا ما لم يرضاه محمد أحمد[2]، حيث أصدر الشيخ فتوى شرعية بأن كل الذنوب التي ترتكب في أثناء الاحتفال مغفورة، فاعترض على تلك التصرفات وأعلن أن الله وحده هو غفار الذنوب، فوصلت هذه الأقوال إلى مسامع الشيخ، فأمر محمد أحمد بالمثول أمامه، فبمجرد أن أعلنه بما سمع وبكل تواضع طلب أحمد المهدي المغفرة، إلا أن الشيخ لم يتساهل معه فقام بطرده ناعتا إياه بكلمات مريرة ومعلنا شطبه من السجلات، وكرر اعتذاره من الشيخ لكن دون جدوى، فقرر محمد أحمد الرحيل معلننا أن العلاقة بينه وبين الشيخ قد انتهت وأنه سوف يتجه بولائه إلى الشيخ القرشي، فكتب محمد أحمد للشيخ القرشي بالقرب من قرية المسلمية، وجاءه الرد بالترحيب فعزم على الرحيل، هنا شعر محمد شريف بأنه من غير اللائق أن يفقد أحد تلاميذه ولشيخ منافس له، فكتب لمحمد أحمد بقبول اعتذاره ولكن كان الوقت قد فات، فقد شعر محمد أحمد بأنه لم يرتكب أي جرم يستحق تعنت الشيخ معه، فكان قراره الرحيل نهائيا[3].

ب_ مع شيخه القرشي ود الزين: يعتبر أحد زعماء السمانية المنافسين للشيخ محمد الشريف، وهو من الذين تلقوا الطريقة من الشيخ أحمد الطيب البشير مباشرة، وقد وجد في محمد أحمد القادم إليه بعد خصومة شديدة مع الشيخ محمد الشريف فرصته، فقبله في الطريقة وأكرمه وقد تزوج محمد أحمد ابنته و ولد منها ابنه علي المهدي، كما تنبأ لمحمد أحمد بأنه المهدي المنتظر، ويروي عنه أنه صاحب فكرة المهدية وأنه هيأ ذهن المهدي لها ويقال أنه قال« أديته بنتي وفرسي وأنا موعود أنه فرس ده يركبه المهدي»[4]، ولعل كل الأمر أن الشيخ القرشي رأى في ذلك الشاب الورع التقي الشخص المناسب الذي سيخلفه، فهو يتمتع بصفات تؤهله ليقود قومه في أمور دينهم ودنياهم، فأشاد به وبالغ في إشادته وربما

---

1 –J. Kelly Giffen, **The Egyptian Sudan**, bibliobazaar reproduction series, London, 1970 ,p23.

2–Gabriel Warburg,**The Sudan Under Wingate Administration in The Anglo Egyptian Sudan(1899–1916)**, Frank cass and company limited , London, 1971,p124.

3– ونستون تشرشل، **تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان** ، ترجمة عز الدين محمود، دار الشروق، نصر، مصر، 2006م، ص38،39.

4– محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة...**، المصدر السابق، ص07.

أطلق ذلك التصريح عنه مشبها له بالمهدي وألصق به بعد وفاته، ولما توفي الشيخ القرشي سارع محمد أحمد للذهاب لكي يشرف بنفسه على بناء قبة لشيخ الجليل[1].

وبالتالي يمكن القول كانت الفترة من اتصال الشيخ القرشي عام 1878م وحتى عام 1880م فترة حرجة في حياته، فهي من جانب امتداد لحياته الصوفية الأولى، ومن جانب آخر مرحلة الانتقال الحاسم من شخصية الرجل الصوفي إلى المهدي[2]، وبعد فراغه من البناء بايعه أتباع الشيخ القرشي ونصبوه شيخا جديدا لهم، وهكذا تأكد مركزه كزعيم لطريقة السمانية[3].

3_ دعوته: مرت دعوته بمرحلتين السرية والجهرية.

أ_ السرية: بعد لقاء محمد أحمد بالشيخ القرشي وما حققه من شهرة عاد إلى جزيرة أبا، وفي الطريق كانوا الناس يتدافعون عليه لتبرك به، وكانوا يحملون الهدايا إليه فيقوم بتوزيعها على الفقراء، وفي أبا واصل سلوكه الزاهد فدخل غارا كان قد حفره في باطن الأرض للعبادة وبدأ تدفق الناس عليه وأصبح له مريدين، وذاع صيته كثيرا بين قبائل المنطقة خاصة قبيلة دغيم وكنانة*[4].

بدأ بالمكاتبة لرجال الدين من مشايخ الطرق وعلماء الشريعة سرا، وكانت كتاباته في بادئ الأمر تلميحا لا تصريحا، فبعضهم آمن واستعد إلى حين صدور الأمر وبعضهم كفر بالدعوى ولم يعرها اهتماما، وقام قبل ذلك بطوافه في مديرية كردفان وجبال النوبة بسر الدعوة إلى من يثق بهم، ثم رجع إلى أبا[5].

ب_ الجهرية: لقد درس محمد أحمد التصوف ونبغ فيه وسلك طريقه، فقد نقب بين أسفار الكتب والمتون وسبر أغوارها، واطلع على المصادر اطلاع بحث وتدقيق عن المهدي وجوهره، والصفات التي يتصف بها والعلامات التي تميزه وإرهاصات زمانه، ولما استوفى الغرض المطلوب من أبحاثه شرع في إشهار دعوته التي قام بها في بداية الأمر سرا، ففي 29 جوان 1881م خرجت الدعوة من طي الكتمان والسرية إلى الإعلان والجهر، وقد بدأ المهدي في دعوته بمخاطبة أصحابه من الفقهاء والأعيان ومشايخ الطرق

1- ونستون تشرشل، المصدر السابق، ص40.

2- محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص62.

3- جلول بوقراف، المرجع السابق، ص106.

* دغيم وكنانة: يقال لهم البقارة، وهذا الاسم يطلق على كل قبيلة ماشيتها من البقر ورجالهم معروفون بالشجاعة. أنظر: فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص72.

4- محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص62،63.

5- مكي شبيكة، المصدر السابق، ص254.

الصوفية والقبائل ورؤساء العشائر مصرحا بدعواه جاهرا بها، فقد حثهم على القيام معه لنصرة دين الله وهجرة أماكن إقامتهم وإقبالهم عليه لمبايعته على القيام بأمر الجهاد في سبيل الله [1]، فأرسل إليهم منشورا ختمه بختم نقش فيه محمد أحمد عبد الله قال في طليعته بعد البسملة والحمدلة «جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون والأقطاب والخضر عليه السلام، وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم، وأجلسني على كرسيه وقال لي أنت المهدي المنتظر، ومن شك في مهديتك فقد كفر وان الترك كفار وهم أشد الناس كفرا لأنهم ساعون في إطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وأخبرني صلى الله عليه وسلم بأن النصر يسير وأن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر بذاته الكريمة أمام جيشي ومعه الخلفاء الراشدون، وأن الله تعالى أيدني بالأولياء والشهداء والصالحين... »[2].

إذن كان الناس في بلاد السودان على أهبة الاستعداد لتصديق هذه الدعوة واحتضانها، نظرا لما آلت إليه أحوال البلاد من سوء الأحوال وفساد الأوضاع، بسبب الظلم الذي سلط على السودانيين وإجحاف الإدارة في المعاملة كالتميز بين القبائل وغيرها من أسباب تم ذكرها سابقا، هذا ما جعل الدعوة المهدية تلقى قبولا لدى عامة الناس وتنتشر انتشارا واسعا في عموم السودان، وقد ساعده في ذلك أن الدعوة خاطبت وجدان جماهير السودان دون تفرقة، وانطلاقها من الواقع المعيشي بطرحها السلبيات وتمسكها بايجابياته متجاوزة بذلك روابط الطرق الصوفية والقبلية، وانخراط الجميع في سلك واحد وأداء واحد[3].

مع العلم أن هناك طائفة من العلماء حاولوا تكذيب ادعاءات المهدي المنتظر من بينهم السيد أحمد الأزهري بن الشيخ إسماعيل الولي الكردفاني، الذي وصف دعوة المهدي بالفتنة العظيمة بين المسلمين وقدم أدلة تناقض دعواه من بينها «أن محمد أحمد المنقول عنه أنه مدعي المهدية لم ينقل أحد أنه توجه إلى مكة ولا إلى المدينة حيث يذكر العلماء أن مولده يكون بالمدينة، وأن الذي ذكره العلماء المحققون أن ظهور المهدي بعد أن يكسف القمر في أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه، ومثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والأرض، ومن المعلوم أن محمد أحمد المذكور تفوه فيما قيل بتلك الدعوى بجزيرة أبا في شهر شعبان وأن رمضان قدم ولم ينقل عن أحد كسوف القمر في أول ليلة منه ولا كسوف

1- أحمد بوعتروس، المرجع السابق، ص397.

2- فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص77،78.

3- أحمد بوعتروس، المرجع السابق، ص402.

الشمس في النصف منه، وذلك دليل واضح على أن المهدية التي ادعاها لم يظهر فيها ما يدل على دعواه »[1].

المبحث الثالث: وقائع ثورة المهدي و وفاته.

أثناء هذه الفترة كان رؤوف باشا يشغل منصب حكمدار السودان الذي خلف غوردون منذ سنة 1877م، فلما علما بخبر المهدي[2]من خلال المنشورات التي كان يرسلها المهدي إلى بعض العلماء [3]، فكان مما أرسل إليهم كتبه الشيخ محمد صالح من علماء دنقلة، فبعث هذا الأخير بكتابه إلى محمد رؤوف باشا[4]، مع العلم أنه في بادئ الأمر أهمل ذلك عندما أخبره الشيخ محمد شريف أستاذ أحمد المهدي في التصوف بتنبيهه إلى نية المهدي، واعتبرها مجرد منافسة بينهما بسبب الخلافات التي بينهما، إلا أنه عندما توارت الأخبار وانتشرت قصة المنشورات في مختلف النواحي رأى الحكمدار ضرورة استدعاء المهدي إلى الخرطوم[5]، فكتب رؤوف باشا إلى محمد أحمد يسأله عما نسب إليه من توزيع المنشورات، فأجابه أحمد المهدي أن هذه المنشورات هي منه لا من غيره وهو المهدي المنتظر، وهذه صورة من رده «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وأله مع التسليم وبعد، فعلى مقتضى المكاتبة فالأمر المطلوب كشفه أن دعاني الخلق على تقويم السنة والهجرة بالدين مما عليه الطباع الزمنية أمر من سيد عبد الوجود صلى الله عليه وسلم، والإعلام بأني المهدي المنتظر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مرارا عديدة مع الهواتف الإلهية، وعلامات أخبرها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، فمن تبع صار من المقربين الفائزين ومن خالف خذله في الدارين وصده بالقوة التي يعجز عن معارضتها جميع العالمين...» [6].

1- عبد الله علي إبراهيم، المصدر السابق، ص51-60.

2- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ مصر...**، المرجع السابق، ص322.

3- محمد الطيب عبد الرحيم الفلاتي، المرجع السابق، ص84.

4- عبد الرحمن الرافعي، **مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال تاريخ مصر القومي من سنة 1882 إلى سنة 1892**، ط3، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1966م، ص104.

5- مالك محجوب، المرجع السابق، ص56.

6- نعوم شقير، المصدر السابق، ص335.

وكرد على الرسالة أرسل إليه رؤوف باشا معاونه محمد بك أبو السعود العقاد، يدعوه إلى الحضور إلى الخرطوم ليبرئ نفسه لدى رؤوف باشا، فرفض المهدي دعوته وأغلظ له القول فعاد العقاد إلى الخرطوم وأبلغ رؤوف باشا ومن ثمة بدأت وقائع الثورة[1]بين المهدي والحكومة.

1_ مرحلة الدفاع والتمكين:

_ معركة أبا 2 أوت 1881م: جرد رؤوف باشا كتيبة من مائتي جندي إلى جزيرة أبا بقيادة أبي سعود العقاد ليأتوا له بالمهدي، إلا أن محمد أحمد كان متيقظا لذلك فقام بإعداد رجاله وأنصاره للقتال، فما إن نزل الجند من الباخرة وبلغوا القرية حتى انقض عليهم رجال المهدي وفتكوا بهم جميعا، أما أبو السعود فلم يغادر الباخرة فلما علما بما حل بجنده أقلع عائدا إلى الخرطوم، وأعلم رؤوف باشا ما فعله المهدي برجاله، وتعتبر أول معركة انتصر فيها المهدي[2].

_ معركة راشد بك 9 سبتمبر 1881م: بعد معركة أبا أدرك المهدي أن الحكومة لن تتغاضى عنه بعد الآن، فقام بجمع أصحابه وقال لهم «إن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أملانا بالهجرة إلى جبل قدير »، فكان عندهم بعض المراكب فاجتازوا بها النيل إلى الغرب وساروا قاصدين إلى جبل قدير [3]، وعندما حل المهدي بجبل قدير في 1 نوفمبر1881م رحب به سلطانها ناصر، ومن هنا بدأت تأخذ هذه الحركة منعطفا أخر، إذ بمجرد أن حط المهاجرون رحالهم شرعوا في بناء مسجد ودور للسكن ومباشرة نشاطهم في الدعوة والإصلاح وتعليم الناس وشرح مبادئ الحركة، الأمر الذي ساعد على اتساع رقعتها [4]، علم بأمره بأمره راشد بك أيمن مدير فاشودة فاعتزم السير إليه بجيشه للقبض عليه، فكمن له محمد أحمد المهدي ورجاله في الطريق وانقضوا عليهم، فقتل راشد بك وحوالي1400 جندي من رجاله وغنم المهدي فجمع أسلحة الحملة وذخائرها[5]، وبوصول الأنباء للخرطوم شعر رؤوف باشا بالخطر واتصل بمصر طالبا

1- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص104.

2-عبد الرحمن الرافعي، **مصر...**، المصدر السابق، ص104.

3- أحمد بوعتروس، المرجع السابق، ص405.

4- نعوم شقير، المصدر السابق، ص339.

5- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص105.

المساعدة والمدد من القوات، وبهذه الموقعة طار صيت المهدي وجاءته الوفود تأخذ البيعة وانضمت إلى صفوف حركته بعد هذا الانتصار[1].

_ **معركة الشلالي 29 ماي 1882م**: لم تستجب الحكومة المصرية لطالبات رؤوف باشا بالإمدادات التي طلبها بل قررت عزله عن الحكمدارية، وعينت بدلا عنه عبد القادر حلمي باشا، وأثناء فترة التغير تولى جيكلر باشا النمساوي الحكمدارية وقرر إرسال حملة للقضاء على المهدي بقيادة يوسف باشا الشلالي [2]، مؤلفة من أربعة ألاف مقاتل فعلم المهدي بزحفها وأعد العدة لمواجهتها، ولما اقتربت من معقله انقض عليهم بمجموعة حاشدة يبلغ عددها حوالي خمسة عشر ألف وباغتوا الجند ليلا وهم نيام، فأوقعوا بهم وفتكوا بهم فتكا ذريعا وقتل يوسف الشلالي وغنم المهدي أسلحة الجيش وذخائره، فازداد بها قوة وذاع صيته في مختلف الأرجاء لاسيما في كردفان، صدقوا الأهالي دعوة محمد أحمد بعد هذه الانتصارات المتوالية[3]، فنشبت العديد من الثورات في مختلف أنحاء السودان المؤيدة للمهدي، من بينها في جزيرة سنار التي قادها عمر الكاشف، حيث اجتمع عليه حوالي 3000 رجل باسم المهدي للتخلص مما ترهقهم به الحكومة من ضرائب[4]، وسار إلى سنار وتمكن من اقتحامها في 6 جانفي 1882، لكن مدير هذه المنطقة حسين بك شكري كان قد استعان بجيكلر باشا الذي لبى النداء وفي 9 جانفي 1882م آتها ورفع الحصار عنها بعد حصار دام 13 من نفس الشهر، ففر عامر المكاشف ومن بقي معه من الأنصار[5]، وقد وقد تبعتها حركات أخرى كحركة الشريف أحمد طه ومحمد زين الفلاتي و ود الصليحابى و ود برجوب وغيرهم، إلا أن هذه الحركات لم تفلح في طرد قوات الحكومة من المنطقة، وفي نفس الوقت لم تفلح الحكومة في القضاء نهائيا على الثورة[6].

_ **حصار الأبيض وسقوطها جانفي 1883**: قبل وصول أحمد المهدي إلى الأبيض عاصمة إقليم كردفان، ظهرت حركات موالية له قام بها قبائل الحوازمة وغديات وحمد والبدرية والسمانية والجوامع والبقارة، اشتبكت فيها مع القوات الحكومية فوقعت معركة البركة جنوب سنار في 18 ماي 1882م، ومعركة أخرى في بارا وتعتبر من المواقع الهامة تقع جنوب كردفان 17 جوان 1882م، تلتها معركة الطيارة في

1–محمد مالك محجوب، المرجع السابق، ص60.

2–المرجع نفسه، ص61.

3– عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص106.

4– نعوم شقير، المصدر السابق، ص352.

5– عامر زناتي، المرجع السابق، ص94،95.

6– محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة...**، المصدر السابق، ص24.

1882م (هي مدينة تجارية تقع على مسافة 100 ميل جنوب الأبيض تسكنها قبيلة جوامعة والبقارة)، وكانت من نتائج ذلك أن فتحت الطريق إلى الأبيض [1]، وكان عليها وقتئذ اللواء محمد سعيد باشا مديرا وحكمدارا لغربي السودان، وفيها من الجند نحو ستة آلاف مقاتل، فهاجمها المهدي بمجموعة وعددهم نحو ذلك خمسين آلف مقاتل يوم 8 سبتمبر1882م، ووقعت في ذلك اليوم معركة كبيرة انتهت بهزيمة الثوار، بعد أن فتكت بهم نيران البنادق والمدافع وقتل منه عدة آلاف، وانسحب المهدي يجر أذيال الهزيمة فما إن لبث المهدي حتى استجمع قوته واستعد للزحف، وفي غضون ذلك حاصروا بارا وكان بها حامية من الجند وشددوا عليها الحصار حتى سقطت في 5 جانفي1883م، ثم استأنف المهدي حصار الأبيض وسد عليها المسالك، فاشتد الضيق والجوع بالحامية العسكرية ومن بقي فيها من الأهالي ففتكت بهم الأمراض، فعقد سعيد باشا مجلسا عسكريا من ضباط الحامية للتشاور في الموقف فاستقر رأيهم على التسليم بعد أن نفذت قواهم، فسلموا للمهدي بعد أن وعدهم بالمحافظة على حياتهم ودخل المدينة يوم 19 جانفي 1883م دخول الظافر، وغنم كل ما كان لدى الحامية من الأسلحة والبنادق والذخائر [2].

بسقوط الأبيض صارت كردفان كلها تحت حكم المهدي، فقام المهدي بإجراء بعض التعديلات، و أصدر كثيرا من المنشورات التنظيمية وقد ركز كثير من السلطات في يد الخليفة عبد الله التعايشي الذي تعرف عليه أثناء بناء قبة الشيخ القرشي، وشجعه على فكرة أنه المهدي المنتظر الذي أصبح بمثابة النائب له [3].

ومن هنا أقدمت مصر بتعين على رأس جيوشها المتجهة نحو السودان ضباطا أجانب، فزاد هذا من سخط السودانيين عليها، ومجملا يمكن القول أن هذه المرحلة تميزت بالدفاع عن معاقل الثورة ومبادئها وتحقيق انتصارات في وجهه الحكومة، بالرغم من حداثتها وقلة أنصارها وعتادها، وانطلاقا من تلك الانتصارا ت المتتالية التي حققها المهدي وأتباعه الذي أطلق عليهم الأنصار بدأت تظهر بوادر دولته الجديدة.

2_ مرحلة الهجوم:

لم تنتهي الحرب عند هذا الحد بل استمرت بين قوات الحكومة والمهدي، فاعتزم عبد القادر باشا الخروج إليهم بنفسه، فخرج من الخرطوم في جانفي 1883م يقود قوة من الجند، والتقى بالثوار في غابة قرب معتوق، فأوقع بهم وانتصر عليهم ثم عاد إلى الخرطوم ثم استأنف القتال في شمال سنار مع جموع

1- جلول بوقراف، المرجع السابق، ص112.

2- عبد الرحمن الرافعي، **مصر...**، المصدر السابق، ص108.

3- محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة...**، المصدر السابق، ص24.

الثوار في موقعة كبيرة دامت أكثر من ثلاث ساعات، قتل فيها من الثوار نحو ألف رجل وأصيب عبد القادر إصابة طفيفة، وانتهت الواقعة بتشتت شمل الثوار، ودخل عبد القادر باشا سنار، وباستيلائه عليها شعر المهدي بخطره فكان يدعوا عقب كل صلاة بقوله « يا قوي يا قادر أكفينا عبد القادر»[1].

_ **حملة هيكس**: احتل الانجليز مصر في 14 سبتمبر1882م، بعد إخماد الثورة العرابية فصارت باحتلالهم مستندة إلى قوتهم مقيدة برأيهم ومشورتهم، فلما استقامت الأحوال في مصر وعاد إليها النظام التفتت نحو السودان، وفي أواخر عام 1882م أرسلت الحكومة الانجليزية مندوبا من قبلها يدعى الكولونيل ستيوارت لدراسة أحوال السودان وتقديم تقرير عنها وفي 9 فيفري 1883م، بعث إلى الحكومة بتقرير مفصل من الخرطوم عن الأوضاع السائدة في السودان بصفة عامة، وأعقب بتقرير أخر أرسله من مصوغ في 8 أفريل 1883م، عن الأحوال السائدة في شرق السودان وقد أحيطت حكومة شريف باشا أنداك علما بهذين التقريرين، وحاولت سلطات الاحتلال في مصر أن تسير على هدى هذين التقريرين، وأهم ما جاء في هذين التقريرين عدم تأيد فكرة الانسحاب وإخلاء السودان كلية لما في ذلك من ضرر لمصالح مصر، ولكن يمكن للحكومة المصرية إذا ما تعذر عليها السيطرة على جميع الأقاليم السودانية التي فتحتها، أن تحتفظ فقط بما تحت يديها من أقاليم، وخصوصا مديرية الخرطوم ومديرية سنار، وأن تحاول تدعيم سلطتها في هاتين المديريتين كما أشارت هده التقارير، أيضا بضرورة تقديم المساعدات الحربية اللازمة للسودان حتى لا يخرج السودان كلية من أيدي مصر [2]، وبعد سقوط الأبيض استدعت الحكومة المصرية عبد القادر باشا إلى مصر وعينت بدله علاء الدين باشا واليا على مصر، فوصل إلى الخرطوم في 20 فبراير1883م، ولكنها حصرت سلطته في الإدارة الملكية فقط، أما هكس باشا يعتبر من الضباط الإنجليز النابغين[3]، فترأس هذا الأخير حملة عسكرية للقضاء على المهدي وأتباعه، فتحرك جيش هكس في 09 سبتمبر1883م، فاتجهت الحملة جنوبا عن طريق شط الرهد*، وكانت الأحوال سيئة فقد أصاب الجيش العطش الشديد، وعندما وصلت قوات الحكومة لمشارف المدينة خرج المهدي بجيشه إلى العراء، وبدأ في عمل تدريبات عسكرية للقوات في تشكيلات حربية، حيث تجمع لديه أكثر من أربعين ألف مقاتل تحت علم المهدي، مسلحين هذه المرة بآلاف البنادق وبعض المدافع مع السيوف والحراب،

1- عبد الرحمن الرافعي، **مصر...**، المصدر السابق، ص109.

2- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص375،376.

3- نعوم شقير، المصدر السابق، ص390،391.

* الرهد: وهي على مسيرة يوم من الأبيض. أنظر: سلاطين باشا، **السيف والنار في السودان** ، عالم الكتب، أم درمان، السودان ، 1930م، ص148.

فكتب المهدي لهكس عارضا عليه أن يستسلم، ولكن الشروط قوبلت بالرفض، وفي أول نوفمبر تحرك المهدي بجيشه إلى الأبيض لملاقاة العدو، ووقع الصدام يوم 3 نوفمبر 1883م، وفي ذلك اليوم كان جيش الحكومة يجاهد في سبيل الحصول على الماء، مما جعلهم صيدا سهلا لسلاح المهدي فسقطوا تاركين أسلحتهم وقتل كل الضباط الأوربيون بمن فيهم القائد هكس[1].

يمكن القول بالرغم من أن الحكومة المصرية أعدت جيشا ضخما، وزودتهم بأحدث الأسلحة وتحت تصرف قيادة عسكرية على مستوى حضاري عصري في الإستراتيجية والتكتيك والخبرة الحربية الواسعة، وكانت القيادة العليا للحملة في أيدي مجموعة مختارة من خريجي الأكاديمية العسكرية من البريطانيين يقودهم الجنرال هكس باشا [2]، إلا أن السودانيون بجرأتهم وإقدامهم وشجاعتهم تحت راية قائدهم المقدس المهدي تمكنوا من سحق الحملة وإبادتها عن أخرها.

انتشرت أخبار انتصارات قوات المهدي في كل أرجاء السودان، وأدت إلى تدفق المؤيدين للمهدي وأضطر حاكم دارفور سلاتين باشا للاستسلام، وكذلك حاكم بحر الغزال فرانك ليبتون، وهكذا أصبح السودان الغربي كله في يد المهدي، أما حاكم مدينة خط الاستواء أمين باشا فقد تراجع للجنوب وانقطعت صلته بالخرطوم[3].

وبالتالي أصبح هذا الانتصار نقطة تحول خطيرة في تاريخ الثورة المهدية، وأدى هذا الانتصار إلى انتشار الخبر في العالم الإسلامي كله، فتدافعت الوفود إلى السودان من الهند والحجاز وتونس ومراكش لزيارة المهدي والانضواء تحت لواءئ، هذا بالنسبة للموقف في السودان، أما بالنسبة لمصر فقد وضح لها عجزها عن استعادة سلطانها على السودان والتخلص من الدراويش كما تسميهم، ولذا قررت سحب قواتها من مديرية خط الاستواء ومن بحر الغزال ودارفور والتمسك بمديرية سنار والخرطوم وما يليها شمالا[4].

ـ **غوردون وإخلاء السودان:** بعد الهزيمة التي منيت بها الحكومة أشارت الحكومة البريطانية على الحكومة المصرية بإرسال غوردون لإخلاء السودان، وسحب الحاميات المصرية والموظفين وترحيلهم إلى مصر، وإعادة السلطة في يد السودان[5]، وأرسلوا برقية للقاهرة تقضي بذلك فردت الحكومة ردا سلبيا عن طريق المندوب البريطاني السامي في القاهرة اللورد كرومر، معللا بأن الحكومة المصرية لا ترغب

1- ونستون تشرشل، المصدر السابق، ص46.

2- صلاح محي الدين، **وقفات في تاريخ السودان**، ط3، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1995م، ص121، 122.

3- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، **تاريخ مصر...**، المرجع السابق، ص324.

4- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص378.

5- المرجع نفسه، ص324،325.

في استخدام غوردون لسبب واحد رئيسي، وهو أن الحركة القائمة في السودان دينية وتخشى أن أقدمت على تعيين مسيحي في مركز كبير قد تباعد بينها وبين القبائل التي لا تزال على ولائها[1].

فأصدرت الأوامر البريطانية إلى مصر بأنه من اللازم تنفيذ أوامره أو وقف الوزراء والحكام الذين لا ينفذون هذا التوجه البريطاني، فاستقال شريف باشا وذكر كلمته الشهيرة «بأنه إذا ما تخلت مصر عن السودان فان السودان لن يترك مصر»، ووجدت بريطانيا في نوبار باشا أرميني مسيحي وزيرا يقبل تنفيذ سياستها الخاصة بإخلاء السودان والانسحاب منه، وفي القاهرة حصل غوردون على توجيهات مفصلة للسير على سياسة إخلاء السودان[2].

وأوصاه الخديوي أن الغرض من إرسالك إلى السودان هو إرجاع الجنود والموظفين إلى مصر، مع حفظ النظام في البلاد بإعادتها إلى سلالة الملوك الذين حكموها من قبل دخول المصريين بقيادة محمد علي باشا[3]، وعلى هذا الأساس توجه غوردون باشا نحو السودان، وصل إلى الخرطوم في 18 فيفري 1884م، وعلى الفور بدأ ينشط لتأدية مهامه، فبعد وصوله مباشرة أخرج فرمان توليته من جيبه ودفعه إلى أحد الحاضرين فتلاه على الحضور، وجاء فيه «... إنني بمقتضى هذا الفرمان قد سميت حاكما مفوضا على السودان لأنظر فيما حل فيه من المشاكل، وقد جئتكم وحدي غير مصحوب بالعساكر والأسلحة...» ، وفي هذا اليوم أمر بجمع دفاتر الضرائب في ساحة عمومية، ووضعت فوقها السياط وآلات الضرب التي كانت تستعمل في جمع الضرائب وأضرم فيها النار، ثم زار السجون فأخلى سبيل الجميع ماعدا القتلة، وفي صباح يوم 19 فيفري 1884م تفقد المخازن وفتش دفاترها وأحصاها، ثم أخذ ينظر في تنظيم مدينة الخرطوم[4].

أرسل غوردون إلى المهدي يخبره بأنه قد تعين واليا على السودان باتفاق الحكومتين المصرية والانجليزية لمعالجة حال السودان، وفتح طريق الحج وفك الأسرى المسيحيين وغيرهم، وإذا كان يريد أن يكون سلطانا على كردفان فانه يعطيه ذلك، فرد المهدي بأنه قضى على حملة هكس وذلك تهديد لغوردون بأنه سوف يقضي عليه، وقد سبق أن ذكرنا مثل هذا التهديد لرؤوف باشا وقد نفذ بالفعل، لذا دعا

1- مكي شبيكة، المصدر السابق، ص303.

2- جلال يحي، **العالم العربي الحديث**، ج1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2001م، ص373.

3- جلول بوقروف، المرجع السابق، ص117.

4- عامر زناتي، المرجع السابق، ص115.

المهدي غوردون للتسليم ولكن غوردون رد عليه ردا قاسيا، فقد أجابه بأن السلاح هو الذي سيفصل بينهم[1].

ونتيجة لهذه الظروف اضطر غوردون إلى العدول عن سياسة الإخلاء وبدأ يستعد للقاء المهدي وصار شعاره لابد من تحطيم المهدي وأصبح يقوي دفاع المدينة للقتال[2].

_ **سقوط الخرطوم ونهاية غوردون:** بعد مجئ غوردون إلى الخرطوم انتشرت الثورة في منطقة بربر ونواحيها بقيادة محمد الخير عبد الله خوجلي أستاذ المهدي، وقد أفلح دعاة المهدي بالفعل في ضم بربر والمتمة* وغيرها من المدن، أما في شرق السودان فقد تكالب المجاذيب مع المهدي وتحالفوا معه، وقد أرسل المهدي عثمان دقنة ** فأسقط طوكر في 1884م وسنكات وقطع الطريق بين سواكن وبربر وأضحى من المستحيل أن ترسل القوات المصرية عن هذا الطريق، وأثناء هذه الفترة أكمل المهدي استعداداته وخرج من الأبيض زاحفا نحو الخرطوم، وقد توقف في الرهد وانشغل لفترة بحرب الدائر التي كانت قد بدأت وهو في الأبيض، وقد تكبدت قواته خسائر فادحة، وفي نفس الوقت منى العبيد بدر *والمحاصرون معه لمدينة الخرطوم بخسائر فادحة وقد طلبوا على اثر ذلك العون من المهدي فأرسل لهم أبا قرجة**فتوجه إلى الخرطوم وضرب حصارا حولها، وبعد ذلك بقليل أرسل المهدي النجومي وعبد الله النور ويعتبرون من الأوائل الذين انضموا إلى المهدي فأحكموا الحصار، وبعد فترة من الحصار بلغ

1- علي تنس هريدي فرغلي، **تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف_ الاستعمار_الاستقلال** ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2008م، ص173.

2- محمد إبراهيم أبو سليم، **تاريخ...**، المصدر السابق، ص70.

* المتمة: تقع تجاه شندى وقد اشتهرت في أخر مملكة سنار والثورة المهدية. أنظر: محمد مهري كركوكي: المصدر السابق، ص314.

** عثمان دقنة: أصله من البجد ولد في سنة 1840م، عمل في التجارة ولما قامت الثورة المهدية هاجر إلى المهدي وأخذ عنه البيعة في الأبيض وعين أميرا على شرق السودان. أنظر: محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة...**، المصدر السابق، ص27.

*العبيد بدر: يعتبر من الشخصيات ذات الوزن الديني والقبلي وهو من بين الأشخاص الذين كاتبهم المهدي للانضمام إليه. أنظر: محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص131.

أبا قرجة: أصله من الدناقلة انخرط في سلك المهدية منذ أوائل المهدية لقب بأمير البحرين توفي بأم درمان في سنة 1916م. أنظر: محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة...، المصدر السابق، ص27.

3- المصدر نفسه، ص26،27.

المهدي تخوم الخرطوم[3]، وقد ركز المهدي هجومه على أم درمان وتمكن من الاستيلا ء عليها في جانفي 1885م[1].

وفي أثناء شهر أغسطس 1884م قررت بريطانيا إرسال حملة بقيادة اللورد ويلسلي لإنقاذ غوردون المحاصر في الخرطوم[2]، وفي 26 جانفي 1885م، نجح الأنصار في هجومهم على المدينة واحتلوها، وبسقوط المدينة ومقتل غوردون لم يبقى للحملة الانجليزية هدف فعادت أدراجها مسرعة إلى الشمال[3].

يعتبر سقوط الخرطوم أعظم نصر أحرزه المهدي، وأعتقد السودانيون حقيقة بأنه المهدي المنتظ ر، كما توافدت على السودان جموع من مختلف بقاع العالم الإسلامي لرؤية هذه الشخصية الجبارة التي استطاعت أن تقلب الأوضاع في السودان، وأن تحول الهزائم التي مني بها السودانيون منذ حملة مصر عام 1821م حتى الآن، إلى انتصارات ساحقة لا على المصرين فحسب بل على القوات الانجليزية أيضا، وبهذا الانتصار دانت للمهدي بالطاعة كل أجزاء السودان تقريبا وقامت فيه حكومة دينية استطاعت الاستقلال بالسودان، أما عن موقف الحكومة الانجليزية بالنسبة للأحداث الجارية بالسودان [4]، ونتيجة لمقتل غوردون تناولت الصحف في انجلترا وأوربا مأساة الخرطوم بالتعليق والوصف، واتسمت لهجتها بالغضب والتهديد والعنف وحرضت حكوماتها على العمل والأخذ بالثأر، وكان يوما حزينا في لندن فقد مات شهيد المسيحية البطل غوردون بالنسبة لهم[5].

واتهموا حكومة جلادستون بأنها المسئولة عن قتل غوردون، وفي الوقت نفسه تقع عليها مسؤولية ثانية وهي التسبب في ضياع الجهود والأموال التي أنفقت على حملة الإنقاذ، دون أن تتمكن تلك الحملة من إنقاذ الموقف، وقد حاول ويلسلى أن يشتبك مع أنصار المهدي في شمال الخرطوم ولكنه وجد أن قواته غير كافية للقيام بهجوم فعال عليها، وفي الوقت نفسه أرسل ولسلى بجزء من قواته إلى سواكن تحت قيادة جراهام للاستيلاء على شرق السودان والقضاء على عثمان دقنة أحد أتباع المهدي، وكذلك مد خط حديدي يصل سواكن على البحر الأحمر ببربر على النيل، ورغم الانتصارات التي أحرزها جراهام على قوات عثمان دقنة إلا أنه لم يستطع القبض عليه، وتمكن من الالتجاء إلى الصحراء، وإذا كانت حملة جراهام قد أخفقت في القبض على عثمان دقنة فقد فشلت أيضا في مد الخط الحديدي المزعو م إنشاؤه، وتوقف

1- محمد إبراهيم أبو سليم، **تاريخ...**، المصدر السابق، ص71.

2- جلال يحي، **تاريخ افريقية الحديث**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1983م، ص59.

3- محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة...**، المصدر السابق، ص28.

4- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص382،383.

5- محمد بن إسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص499،500.

المشروع بصفة نهائية بناء على أمر الحكومة الانجليزية، أمام تلك الصعاب التي واجهت حملة الإنقاذ اقتنعت الحكومة الانجليزية بعدم جدوى الاستمرار في الحرب، وأن الحكمة تقتضي العودة مرة أخرى إلى دنقلة، وقد انقسم الوزراء الانجليز بشأن هذا الموقف إلى قسمين، بعضهم كان يرى رأي رئيس الوزراء جلادستون في الانسحاب التام من السودان وعدم تورط الحكومة الانجليزية في عمليات حربية قد تستنفذ الكثير من الأموال والرجال، أما الفريق الأخر فكان يرى أن من الضروري الاحتفاظ بدنقلة لما في ذلك من احتفاظ الحكومة الانجليزية بهيبتها بعد سقوط الخرطوم، ولما قد يترتب على انسحاب حملة الإنقاذ من السودان إلى ضياع هيبة الحكومة الانجليزية في مصر.

هذا بالإضافة إلى أن التمسك بدنقلة سيحمي حدود مصر الجنوبية من اعتداءات المهدين وخصوصا بعد أن اعتزم فتح مصر والشام وتحرير الدول الإسلامية، إلا أنه لم يطل هذا التردد بين الانسحاب الكلي أو البقاء في دنقلة، بعد أن تكهرب جو العلاقات بين روسيا وانجلترا نتيجة لغزو الروس لأراضي الأفغان واقترابهم من حدود الهند، وجدت انجلترا أن الموقف لا يحتاج إلى مزيد من التردد، فقررت الانسحاب نهائيا من السودان، وأرسلت بتعليماتها هذه إلى المعتمد البريطاني في مصر والى القائد الحملة التي أرسلت لإنقاذ السودان في 13 أفريل 1885م[1].

لقد كان سقوط الخرطوم بين يدي المهدي آنذاك إيذانا بانتهاء عهد الحكم الجديد، وانقاد السودان كله للمهدي من يومها ورأى المهدي أن لا يسكن مساكن اللذين ظلموا في الخرطوم، فسار بناقته من أبي سعد إلى أم درمان، فبني فيها مسكنه ومسجده مثلما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وسمى أم درمان «البقعة المباركة» وجعلها عاصمة الدولة المهدية، ومضى المهدي في تأسيس دعائم دولته فأق ر نظاما إسلاميا، طبق تعاليم الإسلام في جميع نواحي الحياة، فعين قضاة من صفوة العلماء الأتقياء ونوابا في الأقاليم ممن يثق بصلاحهم وعلمهم، ونظم الشئون المالية، وعين جباة لجمع الزكاة، وقسم الغنائم كما تقضي الشريعة الإسلامية، وجعل بيت المال موردا لرزق المسلمين، يعطي كل واحد منهم بمقدار حاجته هو وعائلته [2]، كما وجه المهدي همه بعد إقامته في أم درمان إلى إخضاع الحاميات التي لم تخضع بعد، فبعث محمد الكريم إلى سنار، والأمناء إلى كسلا، وأبو عنجة إلى جبال النوبة لإخضاع أهل الجبال[3].

1- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص382-385.

2- محمد بن إسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص499،500.

3- مكي شبيكة، المصدر السابق، ص364.

وعين أربعة خلفاء هم التعايشي، وعلي ود حلو، محمد شريف، والسنوسي بليبيا هذا الأخير لم يبد تجاوبا مع المهدي وتعاليمه وتجاهل كتابات المهدي له فظل منصبه شاغرا[1].

وبالتالي شكل سقوط الخرطوم نقطة تحول هامة في مسار الثورة المهدية، فأدركت الحكومة المصرية والبريطانية أنه لا جدوى من البقاء في السودان بعد الهزائم التي منيت بها والانتصارات التي حققها المهدي، فحاول هذا الأخير وضع اللبنات الأولى لبناء دولته الجديدة، تحت حكمه ترمي إلى إنشاء دولة إسلامية من أبناء السودان والتخلص من الحكم المصري.

3_ وفاته:

لم يعيش المهدي طويلا بعد سقوط الخرطوم، فبعد خمسة أشهر رقد طريح الفراش، ولما كان يوم الأربعاء من 04 رمضان 1302هـ أصابته حمى تعرف في السودان باب دم، وعند الأطباء تعرف بالالتهاب السحائي الشوكي، وفي يوم الخميس اشتدت به أعراض الحمى فجئ إليه بأطباء مصريين فقرروا أن حالته خطيرة، ووصفوا له العلاج فذاع خبر مرضه بين الناس فلم يكترثوا به لأنهم كانوا واثقون بما كان يعدهم به من أن المنية لا تدركه قبل أن يفتح مصر والشام والكوفة والحجاز، وفي صبيحة يوم الجمعة أمر الخليفة عبد الله التعايشي أن يخلفه في صلاة الجمعة، وفي يوم الأحد الثامن رمضان اشتدت وطأة المرض على المهدي، وفي يوم الاثنين التاسع رمضان 1302هـ عند أواخر الساعة الرابعة فاضت روحه وهو محاط بخلفائه وعائلته[2].

وهكذا انطوت المرحلة الأولى من الثورة المهدية بوفاة المهدي عن عمر يناهز اثنان وأربعون من العمر، وخلال هذه الفترة تمكن من تحقيق العديد من الانتصارات ضد الحكم المصري ويعود ذلك للأسباب اندلاع الثورة المهدية المذكورة سابقا، من بينها كون أن الدعوة المهدية خاطبت وجدان أهالي السودان، لاسيما في ظل تلك الأوضاع التي عناها الأهالي وهم في وطنهم وأرضهم، وشعور السودانيو ن بالظلم والتفرقة بينهم، والقهر من قبل الولاة كما أسلفنا سابقا، فكان لذلك الدور الفعال في تحريك السودانيون مطالبين بتغير الأوضاع، وهذا ما دفعهم إلى الالتفاف حول المهدي والذي تميز ع ن غيره مما

1-Williams John. Alden, **themes Islamic civilization** ,University of California Library of Congress , United State of America , 1971, P 238.

2- فوزي باشا إبراهيم، المصدر السابق، ص61-63.

جعلهم ينقادون حوله، فقد توفرت فيه صفات الزعامة إلى جانب النسب الشريف الذي ينتمي إليه، وزهده في الحياة والتواضع في المعيشة، وكان لا يقبل بأي منكر مهما كانت درجته كما فعل مع أستاذه في حفل ختان أولاده، وهذا ما جعل دعوته تلقى قبولا ونجاحا كبيرا، أيضا استخفاف الحكومة بشأن المهدي في بادئ الأمر ولم تعطيها أي اهتمام، كما أن الثورة العرابية أرهقت الخزينة المصرية، وهذا ما جعل الحكم الجديد في ضعف، كل ذلك ساهم في ترجيح الكفة لصالح أحمد المهدي وساهم في نجاح ثورته، وتوحيد السودان تحت زعيمهم الروحي، لنتساءل في الأخير كيف سيكون ردة فعل أهالي السودان اللذين أمنوا بفكرة المهدي المنتظر بعد سماعهم خبر وفاته؟ وما هو مصير الدولة الجديدة التي عمل على تجسيدها؟ وهل سيتمكن الخليفة من بعده مواصلة ما بدأه المهدي؟

الفصل الثالث

الثورة المهدية في مرحلتها الثانية والأخيرة من 1885م إلى 1899م

(بقيادة عبد الله التعايشي).

المبحث الأول: حياة عبد الله التعايشي

1_مولده ونشأته

2_مكانته في الفترة الأولى من الثورة المهدية

3_توليته الحكم

المبحث الثاني: حروب الخليفة الداخلية والتوسعات في عهده وحروبه الخارجية

1_المعارضة الداخلية لحكم التعايشي(الفتن الداخلية) والتوسعات في عهده

2_الحروب الخارجية:

أ- مع الحبشة

ب- مع مصر

ج- مع الايطاليين

المبحث الثالث: الغزو البريطاني المصري على السودان

1_أسباب الغزو البريطاني

2_حملات الغزو البريطاني المصري على السودان

3_اتفاقية الحكم الثنائي (بريطانيا ومصر)

المبحث الأول: حياة عبد الله التعايشي.

1_ مولده ونشأته:

ينتمي عبد الله التعايشي إلى قبيلة التعايشية أحد أفخاذ قبائل البقارة، وهي من القبائل التي اشتهرت بعد دخول العرب دارفور في القرن الرابع عشر الميلادي، ويرى البقارة أن أجدادهم دخلوا دارفور من تونس وفزان[1]، ولد عبد الله التعاشي في جنوب دارفور حوالي سنة 1846م، وهو الابن الأكبر لمحمد بن علي الكوار، وله أربعة إخوة وكان جده يعلم أفراد القبيلة التعايشية القرآن [2]، فطاب له المقام فاستقر بدار التعايشية وتزوج منهم، ولكن سرعان ما نشب خلاف حاد بين جد عبد الله وزعماء قبيلة التعايشية، ومن ثم اتجه والده السيد محمد شرقا وأقام زاوية بدار الرزيقات.

وسط هذا الجو الديني نشأ عبد الله بن محمد الملقب بتورشين، والمقصود بالتورشين في لهجة البقارة وهو الجاموس البري كناية عن شدة البأس، ويشير بعض المؤرخين إلى أن عبد الله كان منصرفا عن دراسة علوم الدين بالرغم من أنه تولى مكانة والده الدينية بعد وفاته، وقد أشار عليه والده بأن يلجأ إلى بعض المشايخ على النيل ليدرس على أيديهم ثم يهاجر إلى مكة، وعندما نشبت الحرب بين الرزيقات والزبير رحمه* سنة 1873م[3]، كان من بين الأسرى الذين وقعوا في يد الزبير، فلم يتردد الزبير في الأمر بإعدامه أول الأمر، ولكن العلماء المرافقين لزبير اعترضوا حين أمر الزبير بإعدام عبد الله بحجة أن الشرع لا يجيز له قتل أسير من أسرى الحرب، وأمام هذه الأسباب عفا عنه الزبير[4].

قررت بعدها عائلة عبد الله الذهاب إلى الحج خلال الفترة التي أعقبت زحف السلطة الخديوية لدارفور سنة 1875م، فنزلت ضيوفا على ناظر قبيلة الجمع حيث توفي والد عبد الله، وكانت دار الجمع لا تبعد كثيرا عن جزيرة آبا، ومن جزيرة آبا توارت الأخبار عن شيخ يدعى محمد احمد الذي اشتهر

1- H.A. Mac Michel ,**history of the Arabsin the sudan cambidyc** ,1952 ,P.274-275.

2- الفحل الطاهر الفكي، **تاريخ أصول العرب بالسودان**، ب.د.ن، الخرطوم، السودان، 1971م، ص94.

* الزبير رحمه: ولد في 8 يوليو 1821م، يعتبر الزبير شخصية سودانية امتلك الكثير من الرقيق فأمدهم بمختلف الأسلحة وكون منهم جيشا خاصا استطاع بفضله أن يؤسس مملكة لنفسه وأن يهزم به عرب الرزيقات، وكان مخلصا للحكومة المصرية حيث قام بحملة على دارفور بجيشه الخاص دون مقابل من الحكم المصري. أنظر: عز الدين إسماعيل، **الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري**، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1998م، ص312،313.

3- سالم بابكور،« **أوضاع السودان في عهد عبد الله التعايشي** »، الجمعية التاريخية السعودية بحوث تاريخية (سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية والحضارية)، ع154، السعودية، نوفمبر 2000م، ص02.

4- عز الدين إسماعيل، المصدر السابق، ص95،96.

بالزهد والتقوى والورع، وكان من نتائج ذلك لقاء عبد الله التعايشي بمحمد أحمد عبد لله المهدي، وهو يشيد قبة شيخه القرشي، وتذكر بعض الروايات أن عبد الله هو أول من أسر إليه بأنه المهدي المنتظر.

2_ مكانته في الفترة الأولى من الثورة المهدية:

كان عبد الله التعايشي القادم من غرب السودان رجل قوي الشخصية شعر بما يشعر به السودانيون من سخط، وقد تعرف على عبد الله المهدي في جزيرة آبا، بعد أن عزم أن يذهب إليه وأن يطلب منه الإذن في الاندماج في طريقته[1]، ومنذ 1881، أصبح لعبد الله المكانة الأولى في قلب محمد أحمد فهو أول من آمن به وأول من شد أزره وكان مستشاره الأول، وظل نفوذه يتصاعد كلما علا شأن المهدية، وعندما أراد المهدي تعيين الخلفاء لم يتردد في أن يكون خليفته الأول عبد الله، وما إن كثرت الأعمال وتعددت نواحي الإدارة وازدادت الجيوش إلا وترك المهدي إدارة الشؤون العامة لخليفته الأول وتفرغ هو في أمور أخرى، مثل كتابة الرسائل والمنشورات، وأصبحت شؤون بيت المال والقيادة العامة لجيش المهدي كلها في يد الخليفة عبد الله[2]، وشارك في كل المعارك التي واجهت محمد احمد المهدي، وصار عبد الله التعايشي اليد اليمنى لمحمد أحمد المهدي[3].

3_ توليته الحكم:

بعد دفن المهدي عقد الخليفة عبد الله التعايشي مجلسا مع بعض الأمراء والأعيان، وخاطبهم قائلا « يا أيها الإخوان إن المهدي الآن قد مات، ولكن مات النبي من قبله، وقام الخلفاء من بعده فأتموا عمله، وقد ترك الخلفاء يتولون الأمر من بعده، وأنا خليفته الأول فمن أحبه وآمن به فليبايعني الآ ن على السبيل الذي خطه لنا لنقتفي أثره ونتم عمله»[4].

أما الخليفة شريف ابن عم المهدي وقومه الأشراف حاروا في أمرهم ولم يدروا ما يفعلون، وقالوا في أنفسهم فقد مات المهدي وقد أسس مهدية فلماذا نولي علينا عبد الله التعايشي وهو غريب عنا، ولكن لم يكن في وسعهم المجاهرة بهذه الأفكار أو القيام بحركة عدائية، فقد ذكرنا سابقا بأن المهدي عين أربعة خلفاء ووضع تحت يد كل واحد منهم راية، فكانت الراية الزرقاء راية الخليفة عبد الله وهي أكبر الرايات وأقواها وتحتها جميع أهل الغرب، ولم يكن غائبا منها سوى جيش أبي عنجة الذي أرسل لغزو جبال

1 – سالم بابكور، المرجع السابق، ص03.

2 – مكي شبيكة، المصدر السابق، ص382.

3– سالم بابكور، المرجع السابق، ص04.

4 – نعوم شقير، المصدر السابق، ص641.

النوبة، والراية الخضراء راية الخليفة علي ود حلو وهي أصغر الرايات وتحتها قبيلة دغيم وكنانة، والراية الصفراء راية الخليفة شريف وهي راية قوية وتحتها جميع سكان النيل والجزيرة وغيرهم، فلو كان رجال هذه الراية كلهم في أم درمان لترجع وقوع حرب شديدة بينهم وبين الخليفة عبد الله، وبالتالي كانت راية عبد الله إذ ذاك أقوى راية في ذلك الاجتماع، فكان علي ود حلو أول من بايع الخليفة ثم بايعه شريف مضطرا ثم أولاد المهدي وأقاربه ثم الأمراء والأعيان الذين في المجلس.

ولما شاع خبر موت المهدي ومبايعة الخليفتين وأقارب المهدي والأمراء للخليفة عبد الله، هرع أهل أم درمان وضواحيها إلى منزله أفواجا وبايعوه وهذه صورة المبايعة «بايعنا الله ورسوله ومهديه، وبايعناك على طاعتك والانقياد إلى حكمك».

ثم بعث الخليفة إلى أمرائه وجميع قبائل السودان في الجهات الأربع لتجديد البيعة له، ودعا أهل الجهات البعيدة إلى حضور عيد الأضحى في أم درمان في 20 سبتمبر 1885م، فاجتمع عنده في هذا العيد خلق كثير، وحضر أهل الجهات القريبة قبل العيد فبايعوه وعادوا إلى بلادهم.

كما احتاط التعايشي لما قد يحصل لناس نتيجة موت المهدي لذلك، فقام بتوزيع منشورا في جميع البلاد«بأن المهدي قد مات وأنه قام في الأمر بعده، وقال إن موت المهدي يزيدنا احتقارا لهذه الدنيا وحبا للموت في سبيل الله» [1]،

وعند وفاة المهدي أخذ التعايشي خاتم ختم المهدي وخاتم يده، فأما خاتم الختم فقد أبطل العمل به واستعمل بدلا منه خاتما مستديرا وهو خاتم من فضة جعله في بنصر يده اليمنى[2].

وبالتالي يمكن القول بأن الخليفة عبد الله لم يتسلم السلطة عن طريق القوة بطريقة مباشرة إلا أنه استفاد كثيرا من الراية التي كانت تحت يده وفضل أن يأخذ البيعة عن طريق الشورى.

---

1 – نعوم شقير، المصدر السابق، ص641–644.

2– المصدر نفسه، ص646.

المبحث الثاني: حروب الخليفة الداخلية والتوسعات في عهده وحروبه الخارجية.

كان الخليفة عبد الله من طينة غير طينة المهدي، لم يكن عالما ولم يرقى إلى شئى مما وصل إليه إلا لكونه مريدا وصديقا مخلصا للمهدي، وبالتالي فانه كان يفتقر إلى عنصر القداسة التي كانت تربط بين المهدي والجماعات البشرية المتنافرة، وربما كان هو نفسه يحس بهذا الضعف [1]، ولهذا كان على الخليفة أن يواجه عدد من المصاعب والتهديدات من الداخل والخارج.

1_ المعارضة الداخلية لحكم التعايشي (الفتن الداخلية) والتوسعات في عهده:

أ_ المعارضة الداخلية لحكم التعايشي (الفتن الداخلية):

إن الطوائف التي دخلت كرها في المهدية وقبلت ما نادت به من فكرة انحازوا للمهدي تحت تأثير شخصية المهدي الجذابة، شعروا باليأس حينما توفي المهدي وأصبحوا يطيعون الآن خليفته لا عن عقيدة وإيمان وإنما انقياد للحكم، وهذا ما جعل الخليفة عبد الله يعتمد على أخيه يعقوب، فقد كان على الخليفة بعد أن احتل مكان المهدي أن يعين شخصا يشد أزره ويقوم بتصريف أمور الدولة، حتى يتفرغ رجل المهدية الأول للرقابة العامة وبث الدعوة، وكان من الطبيعي أن يلجأ إلى أقرب الناس إليه، فاصطفى أخاه الأمير يعقوب وأصبح له نفس المركز الذي كان يحتله الخليفة في فترة المهدي، كما قام بترحيل قبائل البقارة من ديارهم في أقصى الغرب إلى أم درمان وأنزلهم في مكان يحيطون بمنازله وبنى لهم سورا عظيما بمثابة حصن يحميهم ويرد عنهم الهجوم[2]، ومن أهم المشكلات التي واجهت الخليفة نذكر منها:

_ مشكلة الأشراف ومحاولة قتل الخليفة عبد الله:

بعد اعتماد الخليفة عبد الله على أهله في الحكم كان عليه أن يواجه عداء أقارب المهدي الأشراف وحلفائهم، الذين كانوا يرغبون أن تظل الخلافة والسلطة بيد عائلة المهدي، ولقد وضع الأشراف أمالهم في قريبهم محمد خالد زقل عامل عموم دارفور، الذي لم يستجيب لأوامر المهدي والخليفة عبد الله بالهجرة من دارفور للحاق بجيش المهدي والخليفة عبد الله للإسهام في فتح الخرطوم، وظل بالفاشر إلى ما بعد سقوط الخرطوم و وفاة المهدي، واستمر الخليفة في طلبه بالحضور بجيشه وأصبحت الأسباب الداعية للحضور المبايعة وزيارة ضريح المهدي، وظل محمد خالد زقل متباطئا في تنفيذ الهجرة، فراودت الخليفة عبد الله المخاوف من اعتماد الأشراف لمحمد خالد في نزاعه معهم[3].

---

1 - محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة...**، المصدر السابق، ص30.

2 - مكي شبيكة، المصدر السابق، ص388،389.

3– محمد مالك محجوب، المرجع السابق، ص205.

ويذكر محمد إبراهيم أبو سليم بأن الأشراف بدئوا يراسلونه(محمد خالد زقل) ويعدون منطقة الجزيرة له ولجيشه، إلا أن الصورة لا تبدو كاملة فنحن لا نعلم إن كان محمد خالد زقل حقيقة على اتفاق معهم لتنفيذ مثل هذه الخطوة، وعندما بلغ الخليفة ما بات عليه الأشراف، عين أحد مقربيه على الجزيرة و قطع الاتصال بين العاصمة والغرب، وأرسل أمين سره المدثر إبراهيم *، ليدبر الأمر مع حمدان عامل جبال النوبة الذي كلفه بتصفية قوة محمد خالد زقل، وقد تمت التصفية في بارا في أفريل 1886م، وأرسل محمد خالد زقل أسيرا إلى العاصمة[1].

وفي عام 1891م، وصل تذمر الأشراف في أم درمان إلى درجة أنهم دبروا خطة للتخلص من الخليفة، فبعد أن فقد الأشراف معظم الوظائف الهامة في الدولة، وأبعد الخليفة عبد الله كل المتعاطفين مع الأشراف من مناصب بيت المال والقضاء وأصبح الأمر كله بيد أولاد الغرب، وتعرض الخليفة شريف للاضطهاد وأبعد عن المكانة التي كان يعتقد بأنه له الحق فيها، وبسبب سيطرة البقارة على الموقف فقدت القبائل النيلية نفوذها السابق، كما فقدت ممتلكاتها وأراضيها، وأصبحت حياتهم تحت رحمة البقارة، وقد كان سجن محمد خالد زقل الشرارة الأولى المباشرة لإعلان تذمر الأشراف بصورة علنية، مما جعل الخليفة عبد الله يدعوا إلى اجتماع للنظر في مظالم الأشراف، ويقال أن الخليفة شريف عدد في هذا الاجتماع المظالم التي يعاني منها الأشراف في حالة من غضب كادت أن تؤدي إلى صدام بدني، إلا أن الخليفة عبد الله استطاع بمعاونة الخليفة علي ود حلو وقاضي الإسلام التمكن من الوصول إلى اتفاق، غير أنه لم يحدث أي تغير في موقف الجانبين المتنازعين(الأشراف والخليفة)[2].

ونتيجة لذلك نفذ صبر الأشراف فكونوا جمعية سرية للقيام بقتل الخليفة عبد الله واستلام الأمور بالقوة، وقبل القيام بتنفيذ الخطوة، علم الخليفة عبد الله بأخبارها فاتخذ الاحتياطات اللازمة لتأمين نفسه، وأخذ بدوره في عمليات التخطيط للتنكيل بالأشراف، ولما علما الأشراف بأن سرهم قد انكشف أسرعوا إلى القيام باعتداء مسلح على الخليفة قبل أن ينكل بهم، فاحتل الأشراف قبة المهدي والمنازل المجاورة لها وأمدوا أتباعهم بالسلاح والذخيرة، وقبة المهدي قريبة جدا من منزل الخليفة لا يفصلها منها سوى شارع

---

* المدثر إبراهيم: كاتب المهدي وأمين سر الخليفة، وأصله جعلي ولد في سنة 1800م، وذهب إلى الحجاز صغيرا ثم عاد إلى السودان بعد قيام الثورة المهدية، توفي في بربر سنة 1937م. أنظر: محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة ...**، المصدر السابق، ص35.

1- المصدر نفسه، ص32.

2- محمد مالك محجوب، المرجع السابق، ص217،218.

صغير يبلغ طوله حوالي عشرين مترا، وقام الخليفة عبد الله بحركة مضادة فوزع الأسلحة والذخيرة للملازمين وجعلهم في حالة استعداد تام لمواجهة أي اعتداء على حياته، كما أرسل بعضهم إلى أحياء أم درمان المختلفة لمراقبة الأشراف، ومنع وصول أي إمدادات إليهم، وأمر أهله التعايشية باحتلال الساحة الواقعة بين منزله ومنازل الأشراف، وأمر أخاه يعقوب أن يقيم في المسجد بجيشه أي في الجهة الغربية لمنزل الخليفة عبد الله، نفذت كل هذه الإجراءات في ليلة الاثنين 23 نوفمبر1891م، ولم يتعجل الخليفة عبد الله الأمور بالهجوم على الأشراف، وإنما اتخذ خطة دفاعية ولم ييأس من فض النزاع بالطرق السلمية[1].

فأرسل وفدا إلى الأشراف برئاسة الخليفة على ود حلو يدعوهم إلى الصلح وإجابة مطالبهم، ولم يقبل الأشراف الصلح وبدئوا بالاعتداء بإطلاق النار على منزل الخليفة عبد الله، فرد عليهم أنصار الخليفة بالمثل واستمر الاشتباك نحو الساعة، ورغم ذلك فان الخليفة عبد الله لم ييأس من الصلح إذ أنه أرسل وفدا أخر للأشراف معرضا عليهم الصلح وإجابة مطالبهم، وفي هذه المرة استجاب الأشراف لعرض الخليفة عبد الله ولكنهم طالبوا أولا بمعرفة الشروط التي سيتم بموجبها الصلح، وحرصا من الخليفة على تحقيق الصلح لم يضع شروطا لصلح، وإنما أعطى الأشراف الفرصة أو الحق في وضع الشروط التي يريدونها، وبذلك تم الوصول إلى اتفاق يوم الأربعاء 20 نوفمبر 1891م، وتعهد الخليفة عبد الله بتنفيذ شروط الصلح كما طلبها الأشراف، وهي العفو عن جميع المشتركين في التمرد، وأن يجعل الخليفة محمد شريف مقاما يليق به و يخلي له في مجلسه كرسيا وأن يرد له راياته التي أخذت منه في عام 1886م، وأن يخصص له ولأولاده وزوجات المهدي راتبا شهريا من بيت المال، وقد استجاب الخليفة لكل هذه المطالب ولكنه اشترط شرطا واحدا كان بالنسبة له مهما وضروريا وقد تردد الأشراف في الاستجابة إلى هذا المطلب، وهو أن يسلم الأشراف سلاحهم ويطيعوا الخليفة عبد الله طاعة عمياء، ورغم إجازة الوفاق فان الخليفة ترك الملازمين في ساحة المسجد مسلحين لمقابلة أي انتكاس من جانب الأشراف.

ورغم هذا الوفاق فلم يكن الخليفة مطمئنا إلى صدق نية الأشراف، وبعد عشرين يوما من إبرام الصلح اطمأن الخليفة للموقف فألقى القبض على زعماء الحركة، من بينهم أحمد سليمان أمين بيت المال السابق، ومحمد فوزي محمود وأخيه أحمدي وآخرين، ثم أرسلهم إلى الزاكي طمل الذي يعتبر من أمراء التعايشية في فاشودة وأمره بالقضاء عليهم فقتلهم شر قتله[2].

1- محمد مالك محجوب، المرجع السابق، ص217،218.

2- المرجع نفسه، ص219،220.

غضب الخليفة شريف لمقتل أنصاره وامتنع عن صلاة الجماعة والجمعة، وبعمله هذا أعطى للخليفة عبد الله الفرصة لمحاكمته والزج به في السجن في 2 مارس 1892م، وكانت المحكمة مشكلة من أربعة وأربعين قاضيا، ولعل الخليفة أراد بذلك أن يشرك معه أكبر عدد من رجال القبائل والاتجاهات المختلفة لعزل الأشراف وإدانتهم على مستوى أوسع[1].

وهكذا انتهت قصة الصراع بين الخليفة والأشراف، والتي بدأت منذ حياة المهدي حيث حاول الأشراف الاستئثار بالسلطة، إلا أن الخليفة عبد الله تفوق عليهم في هذا المجال، إذا اعتمد على جهوده في نشر دعوة المهدية والعمل على إعلاء شأنها مما أكسبه رضا المهدي وأحتل المرتبة الثانية في المهدية، وبعد وفاة المهدي أصبح الخليفة المرتبة الأولى في المهدية، وكانت أولى المشكلات التي واجهته هي فتنة الأشراف، فتمكن بذكائه وخبرته من تصفية الأشراف وأبعدهم عن السلطة، إلا أن ذلك أدى إلى إضعاف المهدية في مرحلتها الأخيرة وذلك بفقدان العديد من الأنصار.

ـ **ادعاء نبوءة عيسى:** لم يكن نزاع الأشراف هو القضية الوحيدة التي واجهها الخليفة، فقد ادعى بعض المعارضين لحكم الخليفة عبد الله نبوءة عيسى، ليجدوا لأنفسهم مساقا دينيا يخرجون به عن طاعته وينهون مهمته في الأرض، بسبب الاعتقاد بأن رجعة عيسى تكون بعد ظهور المهدي المنتظر وأغلب هؤلاء الدعاة من قبائل الفلاتة، وقد ترك نجاح حركة المهدية المجال مفتوحا أمام المدعين، لكي يعلنون أنفسهم عيسى الموعود بالعودة[2].

ففي سنة 1886م ظهر في منطقة القلابات فكى يدعي أنه نبي الله عيسى المرتقب بعد المهدي، وقد وجد ادعاؤه إقبالا إلى الحد الذي جعل بعض أوائل أتباع المهدي يتبعونه، وقد قيل أن يونس الدكيم عامل عموم الجهة نفسها كان يميل إلى تصديقه، وقد انزعج الخليفة لهذا الحدث انزعاجا واضحا، فحكم عليهم بالإعدام كما أنه حرر الوثائق الكثيرة لدحض الفكرة، وفي سنة 1888م ظهر رجل أخر يدعي أنه ولي ووعد بالقضاء على المهدية إلا أنه قضى عليه، وفي سنة 1889م ظهر شخص ثالث يدعي خلافة عثمان بن عفان، وهو المعروف بأبي جميزة، وخلق للخليفة متاعب كثيرة وأوشك أن يفوز بدارفور لولا وفاته[3]، وهذا خلق للخليفة مصاعب عديدة.

ـ **الثورات القبلية:** تمثل الثورات القبلية التي واجهت الخليفة عبد الله الصراع التقليدي بين القوات المحلية

1- محمد مالك محجوب، المرجع السابق، ص220.

2- المرجع نفسه، ص182.

3- محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة...**، المصدر السابق، ص35،36.

والقوة المركزية، ولكن الصورة هنا أعمق لسببين أولهما أن المهدية بطبيعة أهدافها كانت ضد التنظيمات القبلية والإقليمية، وثانيا لأن القبائل كانت ضد سياسة الهجرات الجماعية للعاصمة، وقد استمرت الثورات القبلية من بداية حكم الخليفة حتى سنة 1888م، فتميز طابعها بالعصيان والدفاع المسلح، ويبدوا أن هذه الثورات كانت تهدف إلى البقاء بعيدا عن السلطة المركزية والاستقلال عنها.

كان أول من ثار شيخ من قبائل الرزيقات يدعى مادبو، وكان الدافع المباشر لثورة هو نزوعه إلى الاستقلال عن عمال الخليفة واعتراضه على الهجرة إلى العاصمة، وقد كان من نتائج هذه الثورة إخلاء بحر الغزال، كما أنها أشاعت الخراب والفوضى في جنوب دارفور، وقد قبض على مادبو ولاقى حتفه في فيفري1887م على يد حمدان أبي عنجة، وفي سنة 1886م أمر الخليفة عوض الكريم شيخ الشكرية لكي يحضر برؤساء قومه إلى العاصمة، ولكن هؤلاء لم يحضروا بل خرجوا عليه، فقبض الخليفة على عوض الكريم وسجنه إلى أن مات وجرد حملة على قبائل الشكرية ونكل بهم، وغيرها من الثورات القبلية التي واجهها الخليفة[1].

وعلى العموم فان هذه الثورات كانت تفقد الهدف المشترك، الأمر الذي سهل القضاء عليها واحدة وراء الأخرى.

ب_ توسعات الخليفة عبد الله التعايشي:

أما فيما يتعلق بحدود السودان في عهد الخليفة عبد الله التعايشي، فقد تأثرت حدوده بسبب عجز الدولة المهدية عن المحافظة على هذه الأقاليم الواسعة، لبعدها عن قلب الدولة المهدية، ولأن الوصول إليها يحتاج إلى قوة غير متوفرة للخليفة عبد الله، وبسبب الصراعات الداخلية، والصراع الذي دار بين القوى الاستعمارية خاصة في شرقي السودان، وعلى الحدود الجنوبية والتي سنتناولها فيما بعد، إلا أن الخليفة قام بمواصلة فتح المناطق التي بدأ المهدي بإرسال الأنصار إليها للقيام بفتحها وهي كالأتي:

_ ضم كسلا: لم يتحرك أهالي كسلا لتأيد الثورة المهدية، إلا بعد أن قدم عثمان دقنه إلى شرق السودان حاملا كتاب المهدي في أوت سنة 1883م، عن طريق أحد رجالهم الذي له علاقة ودية مع عثمان دقنه، حيث ذهب إليه وبايعه فجعله عثمان أميرا على كسلا وأمره بجمع قبائل الهدندوة ومحاصرتها، فلبى مشايخ الهدندوه الدعوة وجمعوا جمعا عظيما توجهوا به نحو كسلا، وكان مديرها أحمد عفت في انتظار المدد من محافظة سواكن التي ظلت خاضعة للحكم المصري، وقد كتب الأمناء الذين جاءوا لاستلام المدينة إلى مديرها يدعونه إلى التسليم، إلا أنه قرر عدم التسليم في انتظار المدد، فضيق المحاصرون

1- محمد إبراهيم أبو سليم، **الحركة...**، المصدر السابق، ص34،35.

الخناق عليه خاصة وأنه لم يبقى لديهم إلا قليل من الحبوب في المخازن [1]، ونتيجة لذلك تم تسليم حامية كسلا يوم الأربعاء 29 جويلية 1885م، فكتب الأمناء إلى الخليفة عبد الله بأم درمان وعثمان دقنه يعلمونهما بفتح كسلا، فحضر عثمان دقنه إلى كسلا، وكان الخليفة قد أرسل إليه كتابا بموت المهدي، وطلب منه أن يدعوا أهل عمالته إلى تجديد البيعة له على يده فبايعوه[2].

_ ضم سنار: قبل وفاة المهدي بقليل أرسل جيشا بقيادة محمد عبد الكريم لحصار سنار، فوصل محمد عبد الكريم في 18 أفريل 1885م، فقام بمحاصرة سنار من الشمال فأرسل إلى أهلها كتابا يدعوهم إلى التسليم، إلا أنهم في بادئ الأمر لم يرضخوا لأوامره فدخلوا في اشتباكات معه، فأصيب عبد الكريم ولم يعد بإمكانه المواصلة بسبب إصابته في فخذه، فأمر محمد أحمد شيخ إدريس بمواصلة الحصار، حتى سلموا وبايعوه وذلك في يوم 19 أوت 1885م، فكتب محمد عبد الكريم إلى الخليفة يبشره بفتح سنار، فأذاع التعايشي خبر فتح كسلا وسنار وكتب بذلك إلى أمرائه في جميع الجهات[3].

_ ضم المنطقة الشمالية: خرج الانجليز من دنقلة في 15 جوان 1885م متجهين إلى مصر، وكان الخليفة عبد الله شديد الاهتمام بدنقلة بسبب عدم تمكن أهلها من الإيمان بالدعوة المهدية، فأرسل إلى محمد الخير عامل بربر ليكون عاملا أيضا على دنقلة، وأشار عليه بأن يأمر عماله بمعاملة الناس بالرفق، وحثهم على تعمير السواقي وألا يكون للأنصار تدخل في شؤونهم، وأن تؤخذ منهم زكاة الفطر كما طلب الخليفة منه شخصيا وبالتوجه إلى دنقلة لمناصرة أهلها، وأرسل محمد الخير مقدمة جيشه بقيادة ابن أخيه عبد الماجد محمد خوجلي إلى دنقلة فسيطر عليها في 26 أوت 1885م[4].

_ محاولات لضم خط الاستواء: بقيت مديرية خط الاستواء برغم من نشوب الثورة المهدية محتفظة بالحكم المصري، فقد زحف كرم الله أحد عمال المهدي على حدودها، وأرسل إلى أمين بك في ماي 1884م كتاب من المهدي يطلب منه التسليم كما سلم سلاطين ولبتن، فرفض أمين بك التسليم فحاصر كرم الله مدينة أمادى في نوفمبر 1884م، وتمكن من السيطرة عليها، وأرسل مرة أخرى إلى أمين بك يطلب إليه التسليم ويهدده بالزحف على البلاد، فأرسل أمين بك إلى الحكومة المصرية عن طريق زنجبار يطلب النجدة، وبينما يتلقى ما طلبه جاءه في فيفري سنة 1886م خطاب من نوبار باشا ينبئه فيه بقرار الحكومة

1- بشير عطيات، **الأوضاع السياسية للدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي 1885_1898م**، مذكرة ماجستر غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة الجزائر2، 2010_2011م، ص75،76.

2- نعوم شقير، المصدر السابق، ص651.

3- المصدر نفسه، ص656-622.

4- بشير عطيات، المرجع السابق، ص84.

المصرية إخلاء السودان، ويخبره بين الرحيل عن المديرية أو البقاء، فكان موقف أمين بك ومن معه هو البقاء في مراكزهم، إلا أن موقف أمين بك ساء الحكومة الانجليزية لأن ولاءه للحكم المصري يحول دون تنفيذ برنامجها، وهو تقليص السلطة المصرية عن مديرية خط الاستواء، وذلك من أجل السيطرة عليها فيما بعد، فدبرت حملة استانلى لإقصاء أمين بك عن مديرية خط الاستواء، فظهرت في بادئ الأمر بمظهر الراغب في إنقاذه، فأذاعت عنه أنه في خطر وأنه إذا ترك وشأنه فانه لا يلبث أن يكون مصيره كمصير غوردون باشا، وقصد استنالى مع حملة الإنقاذ وعلى اثر ذلك قرر أمين باشا الانسحاب في أفريل 1888م.

فاستأنف الأنصار الزحف على المديرية بقيادة عمر صالح أحد عمال التعايشي، فوصلوا إلى اللادو التي أخلاها أمين بك ثم هاجموا الرجاف في نوفمبر1888م[1].

وهكذا فان الحدود الجنوبية فقد تأرجحت ما بين النصر والهزيمة، بسبب المعارك التي دارت بين قوات الأنصار والقبائل المنتشرة جنوب الرجاف شرقا وغربا، من أجل احتلال المراكز الأخرى التي كانت تابعة لمديرية خط الاستواء.

من خلال ما سبق يمكن القول أن الخليفة عبد الله قضى الشطر الأول من حكمه في تأمين خلافته وإخضاع الجبهة الداخلية، بإخماد الفتن الداخلية لاسيما الأشراف، والقضاء على القبائل المعارضة لحكمه، ومواصلة الفتوحات التي بدأت في عهد المهدي وذلك بضمها وإخضاعها إلى الدولة المهدية، وما إن تفرغ من ذلك حتى ظهر أمامه الخطر الأعظم، الخطر الخارجي مهدد المهدية من جميع الجهات.

2_الحروب الخارجية:

اتخذ الخليفة منذ البدء سياسة الفتح ونشر الدعوة وذلك استمرارا لخطة المهدي، وكانت مصر هي الهدف الأول كما كان ينوي المهدي، وقبل أن يسير عليهم الجيش يجب أن ينذرهم، فوجه منشورات إلى أحبابه في الله أهالي الريف والجهات البحرية كافة، يدعوهم إلى التسليم للمهدية والائتمار بأوامرها.

وكان عليه أيضا إنذار توفيق خديوي مصر بخطاب طويل يقول فيه «وكيف يليق بمن يؤمن بالله واليوم الأخر حب العلو في الدنيا، بعد العلم بقول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين، وأعلم أن ما دعوناك إليه هو الدين الحق القويم والمنهاج الواضح المستقيم، فلا تعرض عنه إلى نزعات الباطل فان الحق جدير بالإتباع والباطل جدير بالتلاشي والضياع، ولو كان قصدي من هذا الأمر ملك الدنيا الزائل وعزها الفاني الذي ما تحته طائل لكان في السودان

1- عبد الرحمن الرافعي، **مصر...**، المصدر السابق، ص154-157.

وملحقاتها كفاية كما تعلم من اتساعها وتنوع ثمراتها، ولكن ما القصد كما يعلم الله إلا إحياء السنة المحمدية والطريقة النبوية بين عامة البرية، ولو نظرت بعين البصيرة والإنصاف وتركت التعامي عن الحق والاعتساف لأذعنت لي بذلك و سلكت بإتباعي أحسن المسالك، وتيقنت أنك الآن بمعزل عن الهداية حيث اتخذت الكافرين أولياء من دون المؤمنين أهل العناية وركزت إلى مؤاخاتهم والانخراط في سلكهم حتى كأنك تريد بهم إطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره أعداؤه» .

كما قام بإنذار الملكة فكتوريا وكتب إلى الملكة بقوله « ولما كان المهدي المنتظر عليه السلام هو خليفة نبينا محمد الذي أظهره الله لدعوة الناس كافة إلى إحياء دين الإسلام وجهاد أعدائه الكفرة اللئام، وأنا خليفته القافي أثره في ذلك، فاني أدعوك إلى الإسلام فان أسلمت وشهدت أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله واتبعت المهدي عليه السلام وأذعنت لحكمي، فاني سأبشرك بالخير والنجاة من عذاب السعير »[1].

كما أرسل خطابا للسلطان عبد الحميد بقوله « كونك تدعي أنك سلطان الإسلام القائم بتأيد سنة خير الأنام فمالك معرضا عن إجابة داعي الله إلى هذا الآن ومقرا رعيتك على محاربة حزب الله المؤمنين مع أهل الكفر والعدوان، فهل أمنت مكر الله أم كذبت وعد الله حتى صرفت مجهودك في إعانة أهل الأصنام على هدم أركان الإسلام».

وخاطب أيضا قبائل نجد والحجاز وملك الحبشة ومحمد السنوسي، وبهذا تفرغ من الإنذارات وعليه الآن أن يوجه الجيوش للفتوحات[2].

أ_ مع الحبشة:

كانت الحدود بين الحبشة والسودان غير واضحة، ودائمة الحركة بين البلدين وترتب عن هذه الحركة نشوب حروب متعددة بين الإدارة المصرية في السودان والحبشة[3]، فدخل الأحباش في حروب مع الأنصار بسبب الأقاليم التي على حدود الدولتين (القضارف والقلابات)، وقد استطاعت قوات الخليفة أن تهزم قوات الحبشة في واقعة القلابات في مارس 1889م، التي انتهت بمقتل ملك الأحباش يوحنا، ولما تولى مكانه منليك عرش الحبشة هادن الخليفة ليتفرغ لحروبه ضد الايطاليين[4].

1- مكي شبيكة، المصدر السابق، ص402،403.

2- المصدر نفسه، ص403،404.

3- عامر زناتي، المرجع السابق، ص141.

4- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ مصر...**، المرجع السابق، ص329.

ب_ مع مصر:

حينما انتهت الحرب الحبشية السودانية وجه التعايشي اهتمامه نحو مصر، فتحركت القوات السودانية تحت قيادة النجومي في ماي 1889م قاصدة الحدود المصرية، ولكنه هزم وارتد إلى الداخل في انتظار الإمدادات الجديدة، وبوصولها تحركت قواته بسرعة نحو الحدود المصرية، وكانت الحكومة الانجليزية قد كلفت السير فرنسيس جرنفيل سردار الجيش المصري بمباشرة الدفاع عن حدود مصر الجنوبية، وكان تحت يده ما يزيد عن الثلاثة ألاف وخمسمائة جندي من مصرين وسودانييـن وانجليز، تقابل الطرفان المصري والسوداني عند بلدة طوكر، فانهزم أنصار الخليفة شر هزيمة فقتل قائد الحملة النجومي ومعه حوالي 1200 من جنوده وأسر 4000 أخر، وبهذه الهزيمة الساحقة تقهقرت قوات التعايشي[1]، وفي السنة نفسها انتشرت في السودان مجاعة كبيرة وكان الخليفة التعايشي محاطا بالأعداء من كل جانب، فلم يستطيع تموين البلاد من الخارج[2]، مما فتك بالعديد من الأرواح.

ج_ مع الايطاليين:

بعد أن قام الايطاليون باحتلال مصوغ بموافقة الحكومة البريطانية، أخذوا يمدون نفوذهم في ارتيريا جنوبا وغربا، مما أدى للاصطدام بين الايطاليين والأنصار في ديسمبر 1893م، كما تمكن الايطاليون من احتلال كسلا في جويلية 1894م، وبقيت في أيدهم حتى سلموها للحكومة المصرية في ديسمبر1897م[3].

لقد أنهكت هذه الحروب قوى الخليفة عبد الله التعايشي وأنصاره سواء في الحروب الداخلية أو الخارجية من الناحية المادية والبشرية، إضافة إلى الناحية النفسية فقد ألف الأنصار أن يكونوا دائما هم المنتصرين، فمن ناحية اعتبرت عملية انسحاب القوات المصرية من السودان بمثابة الانتصار الذي حققته الثورة المهدية في مرحلتها الأولى، إلا أن الدولة الاستعمارية اعتبرت السودان بعد الإخلاء ملكا مباحا لكل طامع في نهب تلك الثروات التي يزخر بها السودان وعلى رأسها انجلترا، ولهذا كان من الصعب أن يحافظ الخليفة على ما حققه المهدي، فكيف سيكون مصير المهدية بعدما بدأت تفقد العديد من المناطق؟

1- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص387.

2- شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السودان**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ب.س، ص641.

3- عامر زناتي، المرجع السابق، ص142.

المبحث الثالث: الغزو البريطاني المصري للسودان.

1_أسباب الغزو البريطاني: من أهم الأسباب التي دفعت انجلترا لإقرار سياسة استرجاع السودان والاستعداد لغزوها والقضاء على قوة المهديين فيه نذكر:

_ تحسن موقف المالية المصرية والجيش المصري، فهذا الأخير أثبت كفاءته وقدرته على مواجهة الأنصار، بعد فراغه من التدريب على أيدي البريطانيون، كما أن المالية المصرية أصبحت قادرة على الصرف في الحملات المرتقبة، فلا يتحمل البريطانيون أعباء مالية أخرى.

_ مشروعات ضبط النيل، فقد أجريت في هذه الفترة عدة دراسات قام بها مهندسون فرنسيون وغيرهم، أثبتت أن تطور الاقتصاد المصري خاصة في مجال الزراعة، يستلزم القيام بمشروعات مدروسة على منابع النيل الاستوائية وعلى مجرى النهر، ولا يتوفر ذلك وجزء هام من مجراه في أيدي قوة معادية[1].

_ خشيت انجلترا من ازدياد نفوذ فرنسا بعد التحالف الحربي بينها وبين روسيا في 04 جانفي 1894م، وإقدامها على احتلال السودان عن طريق الحبشة أو بحر الغزال ولهذا بدأت تفكر في أواخر عام 1895م في استرجاع السودان، وعندما علمت الحكومة الفرنسية بهذا التفكير عارضت معارضة شديدة لأنها لا تعترف بما لانجلترا من مركز في مصر [2]، وذلك راجع إلى التصارع بين انجلترا وفرنسا على القارة الإفريقية، لاسيما و أن الأولى كانت تريد أن يمتد نفوذها من مصر إلى الكاب (رأس الرجاء الصالح)، والثانية من السنغال إلى الحبشة[3].

وحدث في ذلك الوقت أن انهزمت القوات الايطالية أمام الحبشة التي قامت فرنسا بمساعدتها مساعدة فعالة في هذه الحرب ضد ايطاليا التي كانت تحظى بتأيد انجلترا، وخشيت انجلترا أن تنضم ايطاليا إلى جانب فرنسا وبلجيكا نتيجة لهزيمتها في الحرب، و لعدم تقديم انجلترا المساعدة اللازمة لها، ولهذا وجدت انجلترا أن من مصلحتها الاعتماد على تأييد ألمانيا [4]، فعقدت معاهدة معها من أجل استعادة فتح السودان

1- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ مصر...**، المرجع السابق، ص334.

2- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص393.

3-أمل عجيل، المرجع السابق، ص98.

4- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص394.

ضد معارضة فرنسا وروسيا في 1 جويلية 1890م، بين انجلترا وألمانيا، حيث اعتزمت انجلترا بعد جلاء المصريين عن مديرية خط الاستواء على أن تكون هذه المنطقة من نصيبها، فأبرمت وألمانيا معاهدة تضمنت إقرار ألمانيا للمركز الذي ادعته انجلترا في أعالي النيل، ونصت على أن إفريقيا الشرقية البريطانية تمتد إلى حدود مصر وإلى حدود الكونغو البلجيكية، وبعد إبرام هذه المعاهد ة وجهت الحكومة البريطانية حملة على أوغندة لبسط نفوذها فيها، وفي مارس 1894م أعلنت بسط حمايتها عليها واستولت على أوغندة، وبذلك وطدت مركزها في أواسط إفريقيا وأعالي النيل، قبل أن توعز إلى الحكومة المصرية باسترداد السودان، حتى يكون لها عليه السيطرة التامة بعد استرداده، وقد نجحت انجلترا في حصولها على موافقة دول التحالف الثلاثي ألمانيا والنمسا وايطاليا لإرسال حملة لاستعادة السودان[1].

2_ حملات الغزو البريطاني المصري على السودان:

بعد انهزام ايطاليا أمام الحبشة في معركة عدوة في 01 مارس 1896م، استنجدت ايطاليا بانجلترا، فانتهزت بريطانيا فرصة إلحاح الايطاليين عليها في وجوب مساعدتهم، لأن الهزيمة أدت إلى تهديد السودانيين للمستعمرة الايطالية في ارتيريا، كما أنها كانت مهددة أيضا بهجوم من الإمبراطور أثيوبيا، فقررت بريطانيا استرجاع السودان في 12 مارس 1896م[2].

فتشكل جيش مصري تحت قيادات انجليزية من أجل إعادة احتلال السودان، وتجمع في منطقة حلفا، وصدرت الأوامر للجيش بالتقدم نحو السودان من المندوب الانجليزي دون علم الحكومة المصرية، فلما علمت بالخبر أبدى الخديوي غضب لعدم استشارته غير أنه اضطر للخضوع للأمر الواقع، وإظهار الرضا إذ ليس له من الأمر شيئ، وطلبت الحكومة المصرية نصف مليون من الاحتياطي العام لهذا الغرض[3]، وعلى هذا الأساس تقدمت مصر بطلب سلفية من صندوق النقد الأوربي، فاجتمع المحافظون الستة للصندوق الذين يمثلون انجلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا والنمسا وايطاليا فوافق أربعة وعارض اثنان، وتمت الموافقة على القرض وسلم المبلغ للحكومة المصرية وخصص للمجهود الحربي[4].

1- عبد الرحمن الرافعي، **مصر...**، المصدر السابق، ص160،161.

2- طه جاد، **بريطانيا والجيش المصري في ضوء الوثائق البريطانية** ، ج1، ط2، المطبعة العالمية، القاهرة، مصر، 1984م، ص14،15.

3- محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي(التاريخ المعاصر وادي النيل مصر والسودان 1342_1409هـ، 1924_1989م)**، ج13، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م، ص285،286.

4- ونستون تشرشل، المصدر السابق، ص98.

قاد الجيش كتشنر وهو ضابط انجليزي من سلاح الهندسة، وبلغ عدد أفراد هذه القوة عشرة ألاف مقاتل بالاستعداد الكامل، وتجمعت في الجنوب في منطقة حلفا، وفي 01 ماي1896م أعطيت له الأوامر بالتقدم في أرض السودان، فتحركت الحملة من واد حلفا إلى عكاشة وبعد الاستيلاء عليها وتحصينه ا، اتخذ الطريق الصحراوي وطريق النيل صوب فركه، فحدثت معركة في07 جوان 1896م، ولم يكن عدد السودانيين ليزيد على ثلاثة ألاف، فكانت النتيجة أن قتل ثمانمائة من السودانيين بينهم قائدهم، وجرح خمسمائة وأسر ستمائة وتراجع بقية الجيش نحو دنقلة، ووجد أمير دنقلة المدعو ولد بشارة أنه لا يستطيع الصمود أمام الغزاة فأخلى مدينته، ودخلا كتشنر دون مقاومة[1].

وكان الجيش المصري أثناء تقدمه يمد خطوط السكة الحديدية من وادي حلفا عبر الصحراء باتجاه أبو حمد، وبعد نجاح دنقلة تقرر استئناف الزحف، لكن قبل ذلك شعرت انجلترا أن الأمر يستلزم ضمان حياد الحبشة، وعدم تقديم أية مساعدة لأنصار الخليفة، ولتحقيق ذلك أرسلت انجلترا في فبراير 1897م بعثة إلى أديس بابا ونجحت في عقد معادة تضمنت عدم تقديم الأحباش أية مساعدة[2].

بعد نجاح حملة دنقلة أمرت الحكومة البريطانية كتشنر بالاستعداد للزحف جنوبا، وتقدم الجيش المصري فاستولى على منطقة أبو حمد، وأخلى الأنصار بربر فاستولى عليها الجيش الزاحف في 6 سبتمبر1897م، وانضمت بعض قبائل الجعليين للجيش الزاحف وحاصر كتشنر الأنصار المتحصنين في منطقة العطبرة وفي 8 أفريل 1889م، بدأ الهجوم على العطبرة، وانتهت المعركة باندحار جيش الأنصار وقتل أكثر من 7،000 وأسر عدد من كبار قادتهم، وفر من استطاع الفرار ومنهم عثمان دقنه، وقد أدت هذه المعركة لزعزعة معنويات جيش الخليفة الذ ي قرر بعد المعركة التخلي عن كل المناطق الواقعة شمال أم درمان و تركيز جهده في المناطق الواقعة جنوبا بعد معركة العطبرة حشد الخليفة قواته البالغ عددها حوالي 50،000 مقاتل مسلحين بالحراب في سهول كررى عند أم درمان، وفي 2 سبتمبر1898م، وقعت معركة أم درمان واندحر جيش الخليفة وقتل أكثر من 11،000، بالإضافة إلى 10،000 جريح،4،0000 أسير، و وصل كتشنر أم درمان وفر الخليفة عبد الله التعايشي وبعض قوات جيشه تجاه الغرب، وبعد موقعة أم درمان رفع كتشنر العلمين المصري والبريطاني جنبا إلى جنب [3]، حيث رأى وزير خارجية بريطانيا اللورد سولبسورى أن يرفع علما بريطانيا ومصر على السودان

1- محمود شاكر، **التاريخ...**، المرجع السابق، ص287.

2- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ مصر...**، المرجع السابق، ص335.

3- المرجع نفسه، ص337-339.

للمساواة بين الدولتين المنتصرتين على قوات الخليفة، وحضر اللورد كرومر اجتماع الوزراء البريطاني في لندن يوم 25 أوت 1888م، الذي تقررت فيه سياسة رفع العلمين، ووضع كرومر في لندن مذكرة بذلك في 2 أوت بعث بها إلى نائبه في القاهرة رينيل رود، وذلك قبل شهر من دخول كشنر إلى أم درمان، وبعد يومين من الاستيلاء عليها أبلغ رود الحكومة المصرية بقرار رفع العلم البريطاني بجانب العلم المصري، وعلى الحكومة المصرية أن تستلزم بكل نصيحة تقدمها إليها الحكومة البريطانية في شأن المسائل السودانية[1]، وهذا يوضح بروز الأطماع البريطانية في السودان، وقام كتشنر بنبش قبر المهدي وبعث هيكله إلى المتحف البريطاني انتقاما لمقتل غوردون[2].

بعد استيلاء كتشنر على أم درمان والخرطوم، أصدر أوامره بالزحف فورا إلى فاشودة بعد أن وصلته أخبار وصول رجال بيض إليها، وكان كتشنر يقدر ما لديه من معلومات أنهم فرنسيون، فوصل كتشنر إلى فاشودة في 19 سبتمبر 1898م، فالتقى مع القائد الفرنسي مارشان، فأكد كتشنر على الحقوق المصرية على الجهات التي احتلها مارشان وطلبه باخلاءها، بينما تمسك القائد الفرنسي بوجوده امتثالا لأوامر حكومته، وما هو جدير بالذكر أن كلا من الانجليز والفرنسيين قد تبادلوا المواقف في فاشودة، فقد تخلى الانجليز عن مبدأ الملك المباح الذي عقدوا على أساسه معاهدة 14 ماي 1892م مع ليوبولد ملك البلجيك، كما أن الفرنسيين قد تخلوا عن نظرية سريان السيادة المصرية على الأراضي السودانية التي طالما نادوا بها وهم يعترضون على المعاهدة الانجليزية البلجيكية، ونتيجة تمسك كل من مارشان وكتشنر بموقفه تأزم الموقف في فاشودة، مما أدى إلى التهديد بقيام حرب بين انجلترا وفرنسا في أوربا، ولكن لم تلبث فرنسا أن أدركت أن قيام حرب بينها وبين انجلترا ستكون وخيمة العواقب عليها وعلى أملاكها، خصوصا وأن قوات مارشان كانت أضعف من أن تقاوم قوات كتشنر، وتفاوضت مع انجلترا لحل الأزمة سلميا على أساس استدعاء مارشان من فاشودة، وتم ذلك في 11 ديسمبر 1898م، ولقد عرفت هذه الحادثة بأزمة فاشودة[3].

بعد فرار الخليفة عبد الله التعايشي تعقبته القوات الزاحفة للقضاء عليه، وهو في موطنه دار الجوامعة في الغرب، فأرسل كتشنر حملة لتقضي عليه وما إن اقتربوا من الأنصار وعلموا قوتهم وقاسوا الكثير من التعب في أرض لم يألفوها رجعت الحملة خوفا من أن يكون مصيرها كمصير هكس وجيشه،

1- محمد محسن، **مصر والسودان: الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية**، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1994م، ص07.

2- محمد بن إسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص510.

3- عبد الصمد منصور عبد الفتاح، المرجع السابق، ص52.

وكان ذلك في جانفي 1899م، ومن دار الجوامعة شق الخليفة طريقه في جبال النوبة، ولما استقر في دار هجرة المهدي لقي حفاوة من الملك سيد الجبل، وعندما علمت الاستخبارات السرية بوجوده في قدير جهزوا حملة عظيمة تتكون من ثمانية آلاف جندي وبدئوا بترحيلهم إلى جبل قدير، ولكن الخليفة عقد عزمه لمهاجمة أم درمان فغادر الجبال شمالا، فباءت هذه الحملة أيضا بالخيبة، رجعت الجنود بعد رحيل الخليفة وظلوا يرقبون حركات الخليفة حتى علموا اتجاهه، وقاد ونجت وهو مدير الضباط في الجيش المصري حملة لصده عن الزحف صوب أم درمان، والتقوا في أم دويكرات بالنيل الأبيض ودارت الموقعة في فجر 24 نوفمبر 1899م، أبلى الأنصار بلاء حسنا وما إن أيقن الخليفة أنه أشرف على النهاية لم يشأ أن يقع أسيرا، فافترش فروته وجلس عليها وحوله كبار المخلصين الذين ظلوا على ولائهم، وانتهت المعركة بقتل الخليفة عبد الله التعايشي وهو ساجد يصلي، وما يقرب من 1000 من أتباعه [1].

3_ اتفاقية الحكم الثنائي (بريطانيا ومصر):

بعد استعادة السودان كانت انجلترا حريصة على أن تمد نفوذها إليه، لكن انجلترا لم تستطع أن تنفرد بالسيطرة رسميا على السودان لأسباب متعددة منها:

_ حقوق مصر القديمة في السودان قبل الثورة المهدية، وما تكبدته مصر في عمليات الفتح الجديد، وكانت انجلترا تستند على هذه الحقوق لتواجه أطماع الدول الاستعمارية الأخرى، وفي مقدمتها فرنسا فيه.

_ كانت بريطانيا تريد أن تحمل مصر نفقات تعمير السودان بعد الثورة المهدية.

وقد تمكن اللورد كرومر بمساعدة مستشاريه القانونيين أن يضع نظاما غريبا، وهو ما عرف باتفاق الحكم الثنائي، الذي أبرم في 19 جانفي 1899[2].

تتكون هذه الاتفاقية من مقدمة واثني عشر مادة.

جاء في **المقدمة** الأتي: وفاق بين حكومة الجلالة البريطانية وحكومة صاحب السمو خديوي مصر فيما يختص بمستقبل إدارة السودان.

_ حيث انه قد تم إعادة بعض مديريات السودان التي كانت قد تمردت على سلطة صاحب الجلالة و صاحب السمو الخديوي.

1- مكي شبيكة، المصدر السابق، ص453،454.

2- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ مصر...**، المرجع السابق، ص343.

_ وحيث انه أصبح من الضروري اختيار نظم للإدارة وسن القوانين للمديريات التي أعيد احتلالها، مع الاعتبارات التي يجب أن تراعى للمناطق المتخلفة أو تلك التي لا تزال أجزاء منها بعيدة عن الاستقرار، ومراعاة الاحتياجات الخاصة لبعض المناطق.

_ ونسبة للرغبة في الإيفاء بمطالب حكومة صاحبة الجلالة التي نالتها بحق الاحتلال للمشاركة في التسوية الحالية أو مستقبل علاقات العمل والتطورات لنظم الإدارة و التشريع.

_وحيث انه من المتوقع أن تكون ولأسباب إدارة كل من وادي حلفا وسواكن بفاعلية بنفس طريقة إدارة المديريات المتاخمة لهما، الآن نعلن أنه قد تم الاتفاق يبن الموقعين أدناه والمفوضين رسميا لهذا الغرض[1].

على البنود الآتية

المادة الأولى: أن كلمة السودان تعني في هذه الوفاق كل المناطق التي تقع جنوب خط عرض 22 والتي،

1_لم يتم جلاء القوات المصرية عنها منذ عام 1889أو، 2_التي كانت تحت إدارة حكومة صاحب السمو الخديوي قبل التمرد الأخير وفقدتها مؤقتا وتم احتلالها بالتضامن مع حكومة صاحبة الجلالة أو، 3_المناطق التي يمكن أن تعيد احتلالها الحكومتان بالتضامن.

المادة الثانية: يستعمل العلمان البريطاني والمصري معا في كل من الأرض أو المياه في كل أنحاء السودان، ماعدا مدينة سواكن حيث يستعمل العلم المصري منفردا.

المادة الثالثة: إن السلطة العسكرية والمدنية العليا سوف توضع تحت سلطة ضابط واحد يعرف «بحاكم السودان»، سوف يتم تعيينه بمرسوم خديو بناء على توصية من حكومة صاحبة الجلالة البريطانية.

المادة الرابعة: القوانين و الأوامر و اللوائح التي تتمتع بقوة القانون الكاملة، لضمان حكومة جيدة للسودان، و لتقنين حقوق الملكية و الممتلكات، و الاستغناء عنها أو انتقال أي ممتلكات موجودة داخل القطر، تصدر من وقت لآخر أو يتم تعديلها أو إلغاؤها بإعلان صادر من الحاكم العام للسودان، هذه القوانين والأوامر أو اللوائح يمكنها أن تكون سارية المفعول لكل أنحاء السودان أو جزء منه، ويمكنها صراحة أو حسب ما تمليه الضرورة تعديل أو إلغاء أي قانون أو لوائح سارية المفعول، مثل هذه

1– ونستون تشرشل، المصدر السابق، ص355.

الإعلانات يجب أن يتم إخطارها فورا لمندوب حكومة صاحبة الجلالة البريطانية والقنصل العام بمصر وأيضا لرئيس مجلس الوزراء لسمو الخديو.

المادة الخامسة: سوف لن يصدر أي قانون مصري، أو مرسوم أو أمر وزاري يحد أو ينشر أي تشريع فيما يختص بالسودان غير تلك التي يصدرها حاكم عام السودان، كما هو مبين فيما سبق ذكره.

المادة السادسة: في تعريف الإعلان الذي يعطى الحق لأي أوربي من أي جنسية، حرية التجارة أو الإقامة في السودان و أن يمتلك أي ممتلكات داخل حدوده، لن تكون هناك أفضلية أو مميزات خاصة لمواطني دولة عن الأخرى[1]

المادة السابعة: سوف تفرض رسوم استيراد على أي بضائع تدخل السودان من القطر المصري، ويمكن أن تفرض مثل تلك الرسوم على أي بضائع تدخل السودان من أقطار غير القطر المصري، في حالة فرض رسوم على بضائع داخلة عن طريق سواكن أو أي ميناء على شواطئ البحر الأحمر يجب ألا تزيد عن الرسوم الجمركية المفروضة على دخول البضائع الأجنبية إلى مصر، يمكن فرض رسوم على صادرات السودان من وقت لأخر حسب ما تنص عليه الإعلانات و الأحكام.

المادة الثامنة: إن أحكام المحاكم المختلطة سوف لن تسري أو يعترف بها لأي سبب من الأسباب في أي جزء من السودان سوى مدينة سواكن.

المادة التاسعة: حتى إشعار آخر أو حتى يتم الإعلان عنه سوف يظل السودان تحت الأحكام العرفية ما عدا مدينة سواكن.

المادة العاشرة: سوف لن يسمح لأي قنصل، أو نائب قنصل، أو مندوب قنصل بالوجود في السودان بدون تصريح من حكومة صاحبة الجلالة البريطانية.

المادة الحادية عشرة: يمنع منعا باتا استراد أو تصدير الرقيق من السودان، سوف يصدر أمر ويتم الإعلان عنه لتنفيذ هذه التعليمات.

المادة الثانية عشرة: لقد تم الاتفاق بين الحكومتين على أن يراعى بصفة خاصة تطبي ق قانون بروكسل المؤرخ في الثاني من يوليو 1890م فيما يختص باستيراد أو بيع الأسلحة النارية أو ذخيرتها والخمور الكحولية بأنواعها المختلفة

تم في القاهرة يوم 19 يناير 1899م.

بطرس غالي لورد كرومر[1].

---

1 – ونستون تشرشل، المصدر السابق، ص356،357.

تذكر نوال عبد العزيز بأن بريطانيا لم تشارك مصر في حكم السودان، بل انفردت بالأمر كله و يدلنا على ذلك ما ذكره كرومر في أول زيارة له للسودان «... واعلموا أن البلاد السودانية لا تستمد أحكامها من القاهرة ولا من لندن، بل أن السردار وحده هو الذي سيقوم بالعدل فيما بينكم، فلا يجب التعويل على أحد غيره، ولست أشك في أنه يحقق أمانيكم ويحقق لكم كل ما ترجون» [2].

كما وضع موظفون انجلترا على رأس جميع مديريات السودان، وشغل عدد من الموظفين المصريين وظائف ثانوية واحتفظت مصر بكتيبة في السودان إلى جانب القوات الانجليزية كرمز للمشاركة في الحكم نظير أن تدفع مصر 700 جنيه سنويا لدى نفقات إدارة السودان، وظلت السيطرة الانجليزية على السودان حتى تحصل على استقلاله[3].

يمكن القول من خلال هذه الاتفاقية أنها شكلت آلية الإدارة الاستعمارية البريطانية في السودان طوال سيطرتها عليه لأكثر من خمسين عاماً، ولعل أهم مواد هذه الاتفاقية التي أقامت نظاماً لم يكن له مثيل، أنها ركزت كل السلطات المدنية والعسكرية في يد ضابط بريطاني سمي «الحاكم العام»، إذن فإن تسمية تلك الحقبة بـــ«العهد الثنائي الإنجليزي المصري» تسمية غير دقيقة، إذ أن بريطانيا كانت هي الحاكم الفعلي للبلاد طوال تلك الفترة التي تعرف الآن بالعهد الاستعماري الثاني في السودان وأن المشاركة الثنائية في إدارة السودان ليست سوى ستار تتخفى وراءه انجلترا، وكان نصيب مصر من هذه المشاركة هو تحمل أعباء مالية بحكم أنها وحدها المسئولة عن رفاهية وتطور السودان.

وبهذا انطوت صفحة من تاريخ السودان، عبرت فيه الثورة المهدية عن كفاح الشعب السوداني التي بدأت بليلة 12 أوت سنة 1881م، وختمت بضحى 24 نوفمبر1899م.

---

1 – ونستون تشرشل، المصدر السابق، ص357،356.

2– نوال عبد العزيز مهدي راضي، **رياح الشمال دراسة في العلاقات المصرية السودانية في التاريخ الحديث والمعاصر**، المطبعة التجارية المدنية، الخرطوم، السودان، 1985م، ص25.

3– رأفت الشيخ الغنيمي، **التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992م، ص57،56.

الخاتمة

لقد بدأ تاريخ السودان منذ أزمنة موغلة في القدم عكس ما ظل الاستعمار يروج له بأن تاريخ إفريقيا قد بدأ من الغزو الأوروبي للقارة، فقد ظهرت به حضارات عريقة كحضارة نبتة ومروى وغيرهما، والتي مازالت أثارها قائمة، ثم ظهرت ممالیك صغيرة نوباتيا والمقرة وعلوة، وحاولت مصر القبطية السيطرة على هذه المماليك واحتوائها وتنصيرها، غير أن العرب المسلمين لم يمهلوا هذا المسعى وحالوا دون تحقيقه، وبمجيء الإسلام زادت الهجرات العربية الإسلامية واستقرت في المنطقة وامتزجت ثقافاتها بالثقافات السودانية وبذلك أعطت لها الطابع الإسلامي.

قبل حملة محمد علي باشا على السودان سنة 1821م، كان السودان يتكون من مجموعة من الممالك والسلطنات الإسلامية منفصلة عن بعضها البعض، ومن أهمها مملكة الفونج الواقعة في شرق السودان وعاصمتها سنار، ومملكة الفور الواقعة على الأطراف الغربية من السودان الشرقي في دارفور، وسلطنة تقلي الواقعة بين مملكتي الفونج والفور في كردفان، وغيرها من السلطنات والتي تميزت بالطابع القبلي المحلي.

وبعد أن توفرت الأسباب الكافية لمحمد علي باشا في التوسع في أرض السودان، أرسل حملة عسكرية بقيادة ابنه إسماعيل باشا على رأس قوة كبيرة لفتح مملكة الفونج، كما أرسل حملة ثانية بقيادة الدفتردار لفتح مملكة الفور، وانطلاقا من تلك التوسعات التي حققها خديوي مصر، دخلت بلاد السودان عصرا جديدا يعرف بالعصر المصري العثماني، فبدأ السودان يأخذ تنظيماته العسكرية والسياسة والإدارية والاقتصادية والدينية من مصر، فأصبح بمثابة مقاطعة من مقاطعات مصر، مقيدة بحكمهم ومشورتهم يحكمها والي يعين من مصر، ومن خلال دراستنا لنظم التي طبقتها الحكومة المصرية في السودان لاحظنا أن طبيعة الحكم الجديد تميز بالسلبية المفرطة في حق الشعب السوداني، وذلك من خلال استغلال خيرات السودان لصالح مصر فكان السودان بمثابة الوقود للحكم الجديد سواء من الناحية البشرية والمتمثلة في استغلال الأهالي في تكوين جيش قوي، أو المادية فكان السودان يمثل لهم بمثابة الخزينة التي لا تنقضي فكان أول شئ اهتمت به الإدارة المصرية هي تسخير الأجانب في البحث عن الذهب والفضة والعاج.

لقد شكلت الإدارة التي أدير بها السودان من طرف الحكام المصريين سخط السودانيين، إذ كان ينظر إلى هذه الإدارة على أنها لا تتلاءم وطبيعة السكان وما ألفوه من تنظيمات إدارية محلية لا تخرج عن إطار زعيم القبيلة، فقد تميز الولاة الذين حكموا السودان بالقسوة والعنف وعدم المساواة بين الأهالي من خلال تميز قبيلة أو طريقة عن أخرى، إضافة إلى إجهادهم بالضرائب التي كانت تؤخذ منهم عنوة وهم في أمس الحاجة إليها.

فلم تكن هذه السياسة حكيمة فلم تجاري لا الظروف ولا طباع أهالي السودان ففرضت على البلاد نوعا من الوحدة الإدارية والسياسية والبشرية، وفي ظل هذه الأحداث تأسست حكومة هجينة من الإدارة المصرية الخديوية بعناصر مصرية وأجنبية التي عاثت فسادا في البلاد وعاثت هوس الاستنزاف الكامل للموارد والطاقات الشئ الذي خلق نوعا من الحقد والكراهية تجاه هذه السلطة الحاكمة باسم الخديوي وسلطان المسلمين، وهذا لم يمنع تواطؤ بعض المستفيدين السودانيون من تجار وزعماء قبائل ومشايخ الطرق الصوفية في خدمة الحكم الجديد.

وعلى اثر ذلك هبت الثورات القبلية عازمة على الإطاحة بالحكم الجديد الذي جاء لكي يستغلهم في أرضهم وشعبهم، فعمت السودان تلك المقاومات التي بدأت منذ أن وطأ الحكم الجديد أرضهم 1821م فكانت ميزتها التشتت إلى غاية 1881م، فكانت الثورة المهدية الأكثر تعبيرا والأصدق عن هذا السخط الذي أصاب السودانيين، فكان الهدف الأسمى لذلك هو التخلص نهائيا من الحكم الجديد، فقد كانت هذه الثورة أول حركة تخاطب وجدان جميع أهالي السودان دون تميز، فجمعت بينهم في مسيرة واحدة وتمكنت من لم ذلك الشمل. يمكن تقسيم الثورة المهدية إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى 1881م، كانت حركة دينية في أساسها سلمية في وسائلها، ارتكزت على أسس القرآن والسنة، من أجل تطهير الدين من الشوائب وتخليصه من البدع، وذلك نتيجة ابتعاد الناس عن منابع الشريعة الإسلامية واتجاههم إلى المشعوذين، فكانت دعوة إلى الأخلاق الفضيلة ومحاربة الرذيلة وكل ما يمت إلى الفسق، دعوة تنادي بالقضاء على الظلم والاستبداد، دعوة تنادي بالمساواة التي افتقدها السودانيون.

والتي كان قائدها وحامل لوائها محمد أحمد المهدي المتأثر بالتصوف الذي التحق به منذ صغره، فقد أبدا ولاء خاصا لأساتذته والطريقة التي ينتمي إليها، فقد لامس بنفسه معاناة شعبه من الحكم الجديد فأراد أن يؤخذ بيدهم لتخليصهم من المظالم التي عاشوها، وكانت أهم ميزة ساعدته في تحقيق مبتغاه أنه ادعى أنه المهدي المنتظر، فكانت الفكرة باختصار أن الله في أخر الزمان يرسل رجلا يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وأنه يقيم الدين حنيفا، ونتيجة للمظالم التي عاشها السودانيون فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر ذلك البطل الذي سوف يخلصهم من القهر، كما ساعده أن بلاد السودان في تلك الفترة كانت تزخر بالطرق الصوفية التي هيئت الأذهان لقرب ظهور المهدي، فقد شكلت العقيدة المهدية القاعدة الصلبة التي انطلقت منها الثورة المهدية، وعلى هذا الأساس لاقت دعوته رواجا بين أوساط السكان، وان دل هذا الأمر

على شئ فإنما يدل على بساطة المجتمع السوداني وشدة تمسكه بالدين والتقاليد وبساطة تفكيرهم أو بالأصح ساذجة تفكيرهم.

فتميزت في بادئ الأمر بالسرية فبدأ بمراسلة من يثق بهم من مشايخ الطرق الصوفية ورجال الدين والعلماء، ثم بدأ بالإعلان عن دعوته جاهرا بها، فتمكنت الحركة من استقطاب الكيانات السودانية التي تضررت من الحكم المصري، ولما بلغ مسامع الحكومة بنية محمد أحمد وعزمه على مواصلة دعوته، عملت على القضاء عليها ومن هنا انتقلت دعوة المهدي من حركة دينية إلى ثورة وطنية ضد الحكم المصري، فتميزت المرحلة الأولى كونها دعوة دينية هدفها بسط السيادة على العالم الإسلامي وبنائه من جديد على أسس الشريعة الإسلامية.

المرحلة الثانية من 1881 إلى غاية 1883م، بعد رفض الحكومة المصرية لدعوة المهدي بدأت وقائع الثورة المهدية، وكانت شراراتها معركة أبا بين قوات الحكومة وبين أنصار المهدي، والتي مثلت أول انتصار حققه المهدي في وجه الحكومة، وبعدها بدأت الانتصارا ت المتتالية لقوات المهدي، وساعدت هذه الانتصارات المهدي في التصديق بفكرة أنه المهدي المنتظر، مما جعل الوفود والأتباع تأتيه من كل أنحاء السودان لمبايعته والانضواء تحت حكمه، والتي ألحقت بالحكم الجديد خسائر فادحة، فتميزت هذه المرحلة بوقوف السودانيون متحدين بقيادة زعيمهم الروحي المهدي تحت راية واحدة.

المرحلة الثالثة من 1883 إلى 1899م، بعد احتلال الانجليز لمصر أصبح خديوي مصر لا يتمتع بأي سلطة على بلاده، فأصبحت الكلمة لبريطانيا وصارت الجيوش التي تجهز للقضاء على المهدي وأتباعه تقودها بريطانيا، وهذا ما أدى إلى سخط السودانيون أكثر على الحكم الجديد، ، فانتقلت من ثورة وطنية ضد الحكم المصري، إلى ثورة واقعية ضد التدخل الانجليزي في بلادهم، وهذا ما زاد في اشتعال الثورة في السودان بقيادة المهدي، فانتقلت من مرحلة الدفاع والتمكين عن معاقل الثورة إلى مرحلة الهجوم، وعلى الرغم من أن مصر استعانت بالانجليز في القضاء على الثورة المهدية، إلا أن المهدي تمكن من القضاء على الحملات التي اتجهت للقضاء عليه، ونتيجة لتلك الهزائم التي منيت بها الحكومة المصرية والبريطانية، قررت سحب حامياتها من السودان وإرجاع السلطة بيد السودانيون، وهكذا تمكن المهدي من السيطرة على السودان، فكانت إذننا بقيام الدولة المهدية، فبدأ المهدي في وضع أسس دولته على أسس الشريعة الإسلامية فبدأ عهد جديد في تاريخ السودان، وبدأ المهدي يستعد للفتوحات بعد أن استتب له الأمر داخليا.

وبعد سيطرة المهدي على السودان لم تطل حياته فقد وافته المنية، فخلفه صاحبه الخليفة عبد الله التعايشي، ومن هنا أخذت الثورة منعطفا أخر في تراجع في مسيرة الثورة المهدية وذلك لأن الطوائف والقبائل التي دخلت راية المهدي كانت متأثرة بالدرجة الأولى بالشخصية المهدي المنتظر، الذين ظنوا أنه لن يموت حتى يتمكن من فتح العالم الإسلامي كما كان يدعي، وبالتالي يمكن القول بالرغم من أن فكرة المهدي المنتظر ساعدت على انقياد السودانيون تحت كلمته وأدت إلى قيام دولة موحدة بعد التشتت من جهة بقدر ما ساعدت في زعزعت الدولة المهدية وأدت إلى القضاء عليها، فقد واجه الخليفة عبد الله صعوبات جديدة في الدولة المهدية لم يواجه المهدي مثلها، فكانت أولى المشكلات التي ورثها أن السودانيون كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم تحت راية قائدهم المقدس وسيفتحون العالم، وفي عهد الخليفة وجدوا أن المهدي قد لحق بربه قبل تنفيذ مخططه في إقامة الدولة المهدية العالمية بفتح مكة ومصر والشام وغيرها من البلدان الإسلامية.

أيضا واجه الخليفة مشكلات داخلية تمثلت في مشكلة الأشراف، اللذين كانوا يعتبرون أنفسهم الأولى بالخلافة باعتبارهم من أقارب المهدي، إضافة إلى تراجع العديد من القبائل بولائها للمهدية بعد وفاة المهدي ورغبتها في الاستقلال عن الدولة المهدية، كما ثار السودانيون على سياسة الخليفة لاعتماده على أقاربه في تولية المناصب العليا، وذلك لأن الخليفة كان يخشى غدرهم فلم يكن كالمهدي يتمتع بالولاء الروحي في قلوب السودانيون.

كما تميز عهد الخليفة باشتداد التكالب الاستعماري على الدولة المهدية من عدة جهات، فبعد جلاء القوات المصرية على السودان، أصبح في نظرهم السودان ملك مباح، فبدأت الأطماع الاستعمارية تظهر في الرغبة في السيطرة على تلك الأراضي الواسعة في قلب إفريقيا، من قبل انجلترا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا في اقتطاف أجزاء من السودان.

وعليه يمكن القول أن الظروف المحيطة بالخليفة التعايشي لم تكن في صالحه، وعلى الرغم من ذلك فانه حاول بكل ما يملك من الاستمرار ومواصلة الفتوحات التي بدأها المهدي.

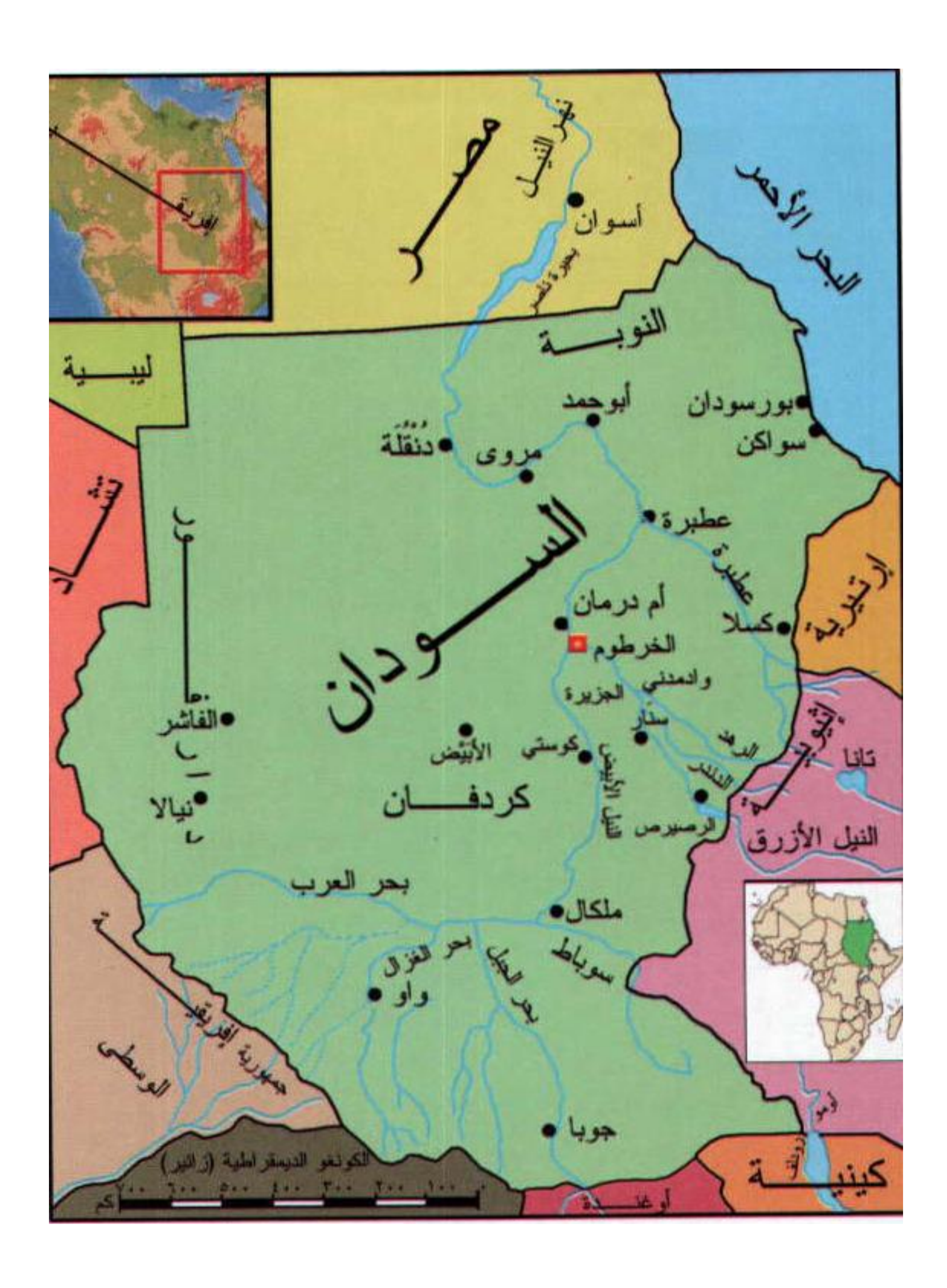
وعليه يمكن القول أن الدولة المهدية لم تستمر طويلا فقامت قرابة الثمانية عشر سنة، وذلك راجع لظروف الداخلية التي لم تسمح لها بالاستمرار بسبب التنافس على السلطة من جهة وغيرها من الأسباب المذكورة سابقا، كما أن عملية إحكام السيطرة على البلاد استنزفت الكثير من موارد الدولة، فضلا عن ذلك فلقد اضطرت الدولة المهدية إلى مواجهة العديد من القوى الاستعماريءة التي بدأ استفحالها في عهد الخليفة التعايشي.

وكانت النهاية الحقيقية لثورة المهدية عندما رغبت في التوسع شرقا باتجاه الحبشة، وشمالا باتجاه مصر، فكانت تلك الخطوة الكارثة، والتي اتخذت منها القيادة البريطانية الحجة في غزو السودان بالتعاون بين الحكومة البريطانية والحكومة الانجليزية بدعوى أن الخليفة أصبح يهدد أمنهم، فلم يتمكن الخليفة من التصدي لتلك الجيوش الزاحفة بأحدث الأسلحة والمدافع والأعداد الهائلة من الجنود، وعلى الرغم من ذلك إلا أن الخليفة لم يستسلم بالرغم من إدراكه قرب نهايته ففضل الموت على أن يقع أسيرا في أيديهم، وبوفاته انتهت مرحلة عظيمة من تاريخ السودان المعبرة عن كفاحه ورغبته في تحقيق الاستقلال الذاتي، فلقد أنهى الغزو البريطاني المصري للسودان فترة الاستقلال الوطني القصيرة التي عرفها السودان في ظل المهدية، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخه بعد توقيع الاتفاق الثنائي بين بريطانيا ومصر.

وأخيرا لا ندعي أننا بهذه الدراسة قد استوفينا الموضوع حقه الكامل، بل هي محاولة اقتراب وقراءة من تاريخ هذا البلد العريق، فإن وفقت فمن الله وان أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والحمد لله على انتهائي كما حمدت الله في ابتدائي.

الملاحق

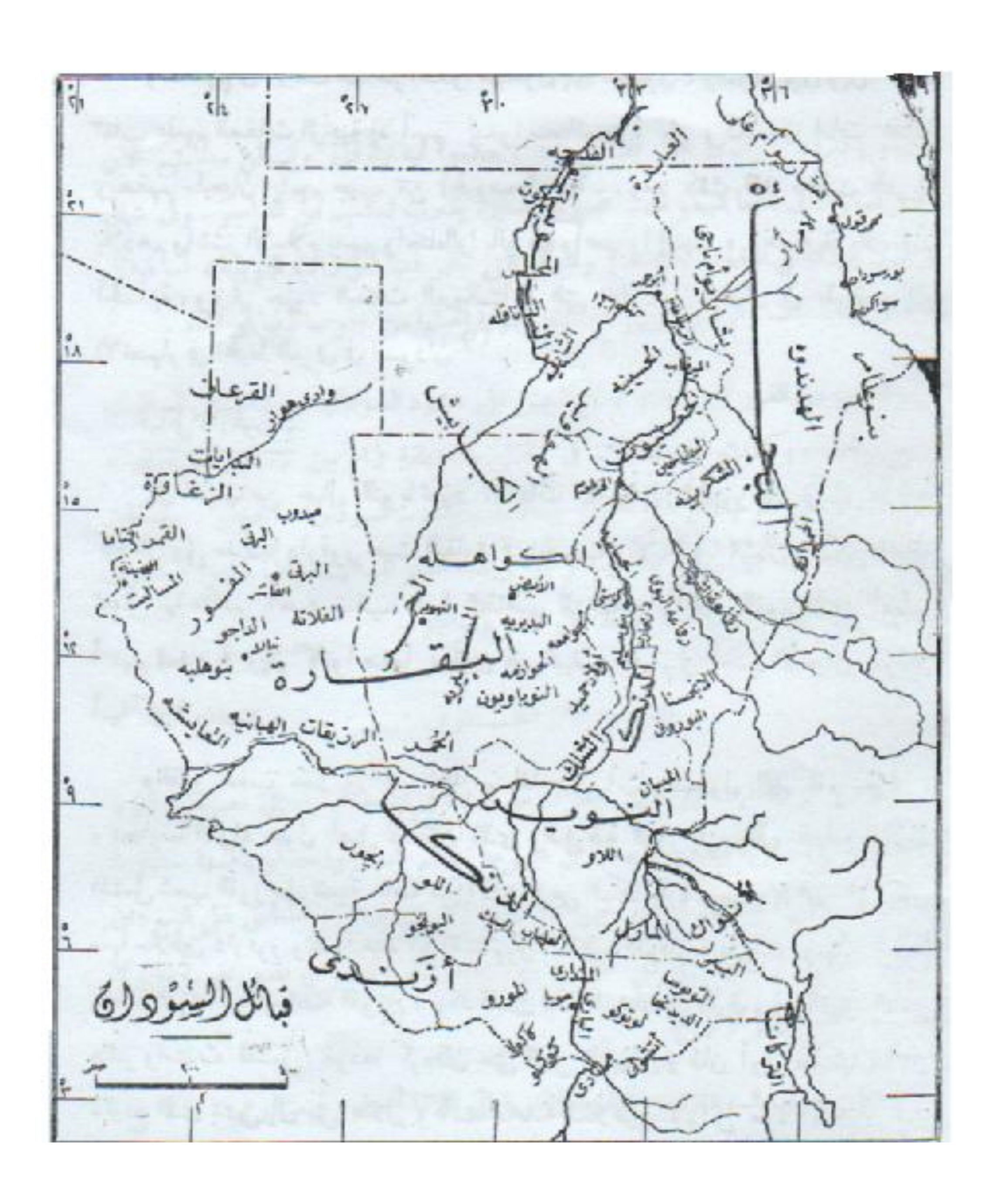
الخريطة رقم 01: خريطة تبين الحدود الجغرافية للسودان وموقعه من القارة الإفريقية.



---

1 - شوقي أبو خليل، **أطلس دول العالم الإسلامي جغرافي تاريخي اقتصادي** ، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2003م، ص62.

الخريطة رقم 02: خريطة السودان وتظهر عليها أهم قبائل السودان.



1- عامر زناتي، **ثورة محمد أحمد المهدي في السودان 1881–1885**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة الجزائر2، 2009–2010م، ص158.

الصورة رقم 01: صورة محمد أحمد المهدي (واجهة الكتاب).



1- James Darmesteter, **Le Mahdi Depuis les origines jusqu' a nos jours**, Elibron CLassics , Paris, France, 2005.

البيبليوغرافيا

أولا: المصادر:

1. الأنصاري ناصر، **المجمل في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية** ، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1997م.

2. إبراهيم فوزي باشا، **السودان بين يدي غوردو ن وكتشنر**، ج1، طبع على نفقة مؤلفه، إدارة جريدة المؤيد، الخرطوم، السودان، 1319هـ.

3. إسماعيل عز الدين، **الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري،** الهيئة المصرية العامة، مصر، 1998م.

4. باشا سلاطين، **السيف والنار في السودان،** عالم الكتب، أم درمان، السودان، 1930م.

5. بشير محمد عمر، **تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900– 1969م،** الدار السودانية للكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان، 1980م.

6. تشرشل ونستون، **تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان** ، ترجمة عز الدين محمود، دار الشروق، نصر، مصر، 2006م.

7. التونسي محمد بن عمر، **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1965م.

8. الحموي ياقوت، **معجم البلدان،** مج2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م.

9. ابن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة،** دار الفلكو، بيروت، لبنان، 2004م.

10. الرافعي عبد الرحمان، **الزعيم الثائر أحمد عرابي،** ط3، دار مطابع الشعب، القاهرة، مصر، 1968م.

11. الرافعي عبد الرحمان، **مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال تاريخ مصر القومي من سنة 1882 إلى 1892م** ، ط3، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1966م.

12. أبو سليم محمد إبراهيم ، **بحوث في تاريخ السودان(الأراضي العلماء الخلافة بربر علي الميرغني)،** دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992م.

13. أبو سليم محمد إبراهيم، **تاريخ الخرطوم،** ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1979م.

14. أبو سليم محمد إبراهيم، **الحركة الفكرية في المهدية،** دار الطباعة، الخرطوم، السودان، 1970م.

15. السنى بانقا، **أضواء على النظام القبلي والإدارة في السودان** ، مطبعة الحكومة، الخرطوم، السودان، 1960م.

16.سيرجي سمرنوف، **دولة المهدية من وجهة نظر مؤرخ سوفيتي** ، ترجمة هنري رياض، دار الجيل، لبنان، 1994م.

17.شبيكة مكي، **السودان عبر قرون**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1964م.

18.شقير نعوم، **تاريخ السودان**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1981م.

19.طوسون عمر، **الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي باشا**، ط3، مطبعة المستقبل، الإسكندرية، مصر، 1935م.

20.عبد الرحيم الفلاتي محمد الطيب، **الفلاتة شمال السودان(الفلاتة، الهوسا، البرنو وشمال السودان)** ، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994م.

21.علي إبراهيم عبد الله، **الصراع بين المهدي والعلماء** ، دار نويار للطباعة، الخرطوم، السودان، 1994م.

22.الفكي الفحل الطاهر، **تاريخ أصول العرب بالسودان**، ب.د.ن، الخرطوم، السودان، 1971م.

23.كركوكي محمد مهري ، **رحلة مصر والسودان**، دار المعارف، مصر، 1914م.

24.محي الدين صلاح، **وقفات في تاريخ السودان**، ط3، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1995م.

25.المقدم محمد بن إسماعيل **المهدي**، ط8، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2004م.

26.المهدي الصادق، **مياه النيل الوعد والوعيد** ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 2000م.

ثانيا: المراجع:

أ-المراجع بالعربية:

27. بدوي جمال، **محمد علي وأولاده**، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، 1999م.

28. البصيلي عبد الجليل الشاطر، **تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر ميلادي**، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1972م.

29. بكر محمد إبراهيم، **المدخل إلى تاريخ السودان القديم**، مكتبة الإسكندرية ، مصر، ب.س.

30. بوعتروس أحمد، **الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

31. جاد طه، **بريطانيا والجيش المصري في ضوء الوثائق البريطانية** ، ج1، المطبعة العالمية، مصر، 1984.

32. الجمل شوقي عطا الله، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم**، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1996م.

33. الجمل شوقي عطا الله ،عبد الرزاق إبراهيم عبد الله ، **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998م.

34. حسب الله محمد أحمد، **قصة الحضارة في السودان من 3400ق.م إلى 1900م**، دار يوليو للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1932م.

35. أبو خليل شوقي، **أطلس دول العالم الإسلامي جغرافي تاريخي اقتصادي**، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2003م.

36. رمضان عبد العظيم، **أكذوبة الاستعمار المصري للسودان** ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ب.س.

37. زبادية عبد القادر، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء(دراسات ونصوص)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

38. زبادية عبد القادر، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.

39. السروجي محمد محمود، **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر** ، ب.د.ن، الاسكندرية، مصر 1998م.

40. شاكر محمود، **التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر وادي النيل مصر والسودان 1342_1409هـ. 1924_1989م)**، ج13، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م.

41. شاكر محمود، **الســـودان**، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1971م.

42. الشامي صلاح الدين علي، **السودان دراسة جغرافية**، دار المعرف، الإسكندرية، مصر، 2002م.

43. صبري محمد، **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم** ، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1926م.

44. الصياد محمد محمود، عبد الغني سعودي محمد، **السودان (دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي)**، دار الرائد للطباعة، القاهرة، مصر، 1966م.

45. ضيف شوقي، **عصر الدول والإمارات الجزائر_المغرب الأقصى_موريتانيا_السودان** ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ب.س.

46. طه ياسين نمير، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر** ، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، 2009م.

47. عبد الفتاح عبد الصمد منصور، **العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي 1899_1942م**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م.

48. الغنيمي رأفت الشيخ، **التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992م.

49. الغنيمي رأفت الشيخ، **مصر والسودان في العلاقات الدولية**، دار الكتب، القاهرة، مصر، ب.س.

50. فرغلي علي تنس هريدي، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف_الاستعمار_الاستقلال** ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2008م.

51. القدال محمد سعيد، **الإمام المهدي محمد بن عبد الله 1844 _1885م**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992م.

52. محجوب محمد مالك، **المقاومة الداخلية لحركة المهدية 1881_ 189م**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1987م.

53. محسن محمد، **مصر والسودان: الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية** ، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1994م.

54. مرسي فيصل محمد، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** ، ط2، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، ليبيا، 1997م.

55. مهدي راضي نوال عبد العزيز، **رياح الشمال دراسة في العلاقات المصرية السودانية في التاريخ الحديث والمعاصر**، المطبعة التجارية المدنية، الخرطوم، السودان، 1985م.

56. مصطفى حسن حمدنا الله، **التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان 1841_1881م**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1885م.

57. يحي جلال، **تاريخ إفريقية الحديث**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1983م.

58. يحي جلال، **العالم العربي الحديث**،ج1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2001.

ب – المراجع بالأجنبية :

59. Alden Williams John, **themes Islamic civilization** ,University of California Library of Congress, United State of America, 1971.

60. Darmesteter James, **Le Mahdi Depuis les origines jusqu’ a nos jours**, Elibron CLassics , Paris, France, 2005.

61. Kelly Giffen .J, **The Egyptian Sudan**, bibliobazaar reproduction series, London, 1970.
62. Mac Michel. H. A ,**history of the Arabsin the Sudan cambidyc ,**1952**.**
63. Wapurg Gabriel, **The Sudan Under Wingate Administration in The Anglo Egyptian Sudan (1899–1916)**, Frank Cass and company limited , London, 1970.

ثالثا: المجلات والدوريات العلمية:

أ–المجلات:

64. بابكور سالم، «**أوضاع السودان في عهد عبد الله التعايشي** »، الجمعية التاريخية السعودية بحوث تاريخية (سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية والحضارية)،ع154، السعودية، نوفمبر2000م.

ب–المقالات:

65. صبري محمد خليل، «**الهويۃ السودانية وجدلية الوحدة والتعدد** »، المجلة العربية للعلوم السياسية ، ع20، جامعة الخرطوم، خريف 2008م.

66. فتح الرحمن عثمان سراج الدين، « **تاريخ الطرق الصوفية في السودان: بالإشارة خاصة للطريقة القادرية**»، مجلة العلوم الإنسانية WWW. Ulumn، ع42، جامعة جوبا، 1–07–2009م.

رابعا: الموسوعات:

67. عجيل أمل، **قصة وتاريخ الحضارات العربية** ، موسوعة تاريخية جغرافية حضارية أدبية ليبيا والسودان والمغرب، ج19_20، دار بيروت، لبنان، 1999م.

خامسا: الرسائل الجامعية:

68. بوقروف جلول، **الحكم المصري في السودان 1821_1885م**، مذكرة ماجستر غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010_2011م.

69. زناتي عامر، **ثورة محمد أحمد المهدي في السودان 1881_1885م**، مذكرة ماجستر غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة الجزائر2، 2009_2010م.

70. عطيات بشير، **الأوضاع السياسية للدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي 1885_1898م**، مذكرة ماجستر غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010_2011م.

71. غربي لحواس، **السيادة السعدية بالبلاد السودانية**، مذكرة ماجستر غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، 2009_2010م.

فهرس

الموضوعات

الصفحة